زينوبيا ملكة تدمر

أوبرا شعرية تاريخية كبرى ذات أربعة فصول

تأليف

أحمد زكي أبو شادي

الكتاب: زينوبيا ملكة تدمر
الكاتب: أحمد زكي أبو شادي
الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

APA

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

أبو شادي ، أحمد زكي
زينوبيا ملكة تدمر/ أحمد زكي أبو شادي
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٩٥ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٥ – ٢٥٨ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٠٨٠٤ / ٢٠٢١

زينوبيا ملكة تدمر





تَصدير

ألَّف بعضُ مشاهير رجال الأدب والفنِّ من الأوروبيين أوپرتين مختلفتين جدَّ الاختلاف في موضوعهما عن (ملكة سبأ) أو (بلقيس) المذكورة في القرآن والإنجيل الشريفين، وهي غير (الزَّبَّاء، ملكة تدمر أو پالميرا أرملة الملك أُذنية)، وإنْ كثر الاشتباه اللفظي بينهما لدى الجمهور ولا سيما في أوروبا، وهذا ما يدعوني إلى هذه المقدمة. وأشهر هاتين الأوپرتين الأوپرا النمساوية المسماة "**Die Koningen von Saba**" أو (ملكة سبأ **The Queen Of Sheba**)، وقد وضعها ج. هـ. موزنتال "**G. H. Mosenthal**" ولحَّنها كارل جولد مارك "**Karl Goldmark**" وأُخرجت في فينا في العاشر من شهر مارس سنة ١٨٧٥م، وبها خلَّد جولدمارك ذِكراه، كما أنَّ موسيقاها الشرقية النَّفحة البديعة الجذَّابة كانت من عوامل نجاحها في أوروبا. وأما الأوپرا الأخرى فكانت سابقة لهذه وكانت فرنسية ومُعَنونة بالاسم ذاته مترجمًا "**La Reine De Saba**"، وقد

ألَّفهـا بربييـه "Barbier" وكاريـه "Carré" ولحَّنَهـا جوتـوه الموسـيقي الفرنسـي الشـهير مُلحِّـن فاوسـت **Faust**، ولكـنَّ روايته هذه معدودة بين سلسلة مؤلَّفاته الموسيقية التي لم تنل إقبال الجمهور عليها، وقد أُخرجت في سنة ١٨٦٢م.

أما هذه الأوپرا: (الزَّبَّاء **Al-Zabba** أو **Zenobia**)[١] فمستحدثَةٌ، ولا شأن لها بسيرة (ملكة سبأ) ولم يسبق تمثيلها بصورةٍ ما، وهي مختلفةٌ جدَّ الاختلاف عن معظم ما كتب في بحثها سابقًا من الوجهة القصصية (فضلًا عن أنَّه لا علاقة لها كما قدَّمنا بسيرة ملكة سبأ أو بلقيس وإنْ تشابه الاسمان الأصيلان «سبأ» و«الزَّبَّاء» عند الفرنجة)، وهذا الاختلافُ قائمٌ موضوعًا وتاريخًا وتحقيقًا ومَرْمًى: فأما الموضوع فينزع إلى الإشادة بأشرف العواطف القومية وعِزَّة النفس والتضحية الجليلة، وأما التاريخ فهو أحدث ما نعلَمُه عنها مع مراعاة مقتضيات الأوپرا، وأما التحقيق فحسبي منه تجنُّب ذلك النوع من الخرافة الذي لا يُكسِب الأوپرا رونقًا ولا يخدم الحقيقة المحبوبة على أيِّ حال، وأما المَرْمَى فهو

التهذيبُ الفنيُّ والخُلُقي معًا لا مجرَّد اللهو والتسلية بسرد قصةٍ أو تمثيل رواية لا عبرة منها ولا جَدْوَى، وهذه أمانة قومية في عنقي لم أغفل ولن أغفل تقديرَها ما حييت.

بهذه النزعة أخذتُ أنظم هذه الأوپرا تقديرًا لهذه الملكة العربية الجميلة التي كانت تنتسب أيضًا إلى (كليوباطرة) ملكة مصر وإن كانت مثال الاستقامة والشرف، بعكس (كليوباطرة) التي دعاها (بروبوديتوس) المؤرِّخ الرُّوماني «ملكة المدينة النَّجسة» مشيرًا إلى (كانوب) مدينة الفجور القديمة برمل الإسكندرية! وقد حكمت (الزَّبَّاء) زمنًا على مصر وامتدَّ مُلْكَها امتدادًا عظيمًا وخشي سطوتها الإمبراطور (أُورليان) الرُّوماني، ولبثتْ عزيزة حتى بعد أن تقلَّب لها الزمن وبعد أن سقطت دولتها وأُسِرَت في سنة ٢٧٣م، فقد شاءت الأقدارُ أن يتزوَّج أولادُها من الرومانيين، وأن ينشأ مِن نسلهم رؤساء للإمبراطورية الرومانية.

وقد راعيتُ في وَضْع هذه الأوپرا – وإن كانت من

طائفة الأوبرات الكبرى – أن تكون متوسطةَ الحجم مجاراةً لحالة المسرح المصري الحاضرة؛ لأنَّ الآمال التي كانت معقودة على تأليف فرقة مصرية كبرى للأوبرا – والتي من أجلها وضعتُ «أردشير **Ardasheer**» و«الآلهة **The Goddesses**» على الأخص – لم تتحققْ بعدُ، ولعلّي قدَّمت بهذه الأوبرا إلى أنصار الشعر المصريِّ وإلى عُشَّاق الأوبرا الراقية إضافة جديدة مقبولةً وقسطًا من الخدمةِ الواجبةِ.

أحمد زكي أبو شادي

الإسكندرية في ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٧م

الهوامش

١) قال صاحب «أقرب الموارد» نقلًا عن المصادر العربية، وهي مخالفة للتاريخ المحقق، أو على الأقل لا صلة لها بملكة تدمر كما نعلم عنها الآن والتي هي موضوع قصتنا: الزباء لقب هند بنت الريان الغساني ملكة الجزيرة، كانت تعد من ملوك

الطوائف، وكان يضرب بها المثل في العز والمنعة؛ لأنها كانت متحصنة في مدينتها، فيقال: «هو أعز من الزباء.» وذكر في الكلام عن «الأبلق الفرد» إن هذا الحصن والحصن المسمى «مارد» امتنعا على الزباء فقالت فيهما: «تمرد مارد وعز الأبلق.» فذهب قولها مثلًا!

سيرة الزباء

الأديب القدير الأستاذ/ مُحَمَّد سعيد إبراهيم

سكرتير (رابطة الأدب الجديد)

زنوبيا أو الزَّبَّاء هي ملكة پلميرا أو تدمر، واسمها في عشيرتها: Septimia Bathzabbai، وهذه المرأة المشهورة بجمالها وإقدامها وذكائها كانت جديرة بأن تكون قرينة أُذينة "Odainatti" الذي كان يحمل لقب «رئيس المشرق"Dux Orientis" ، وهي قد اشتركت معه بالفعل في سياسة ملكه أثناء حياته، ولم تخلفه في منصبه فقط بعد وفاته (سنة ٢٦٦–٢٦٧ ميلاديًّا) بل إنها عقدت العزم على بسط سلطانها على الدولة الرومانية الشرقية، وكان ابنها هبة الله بن أُذينه لا يزال حينذاك طفلًا، فتسلمت مقاليد الحكم في يدها. وقد غزت (مصر) سنة ٢٧٠م. وفتحتها بقيادة

زَبْدة "Zabda" بدعوى إعادتها لحكم الإمبراطورية الرومانية، وحكم ابنها (هبة الله) مصر في عهد (قلوديوس) على أنه شريك في حكمها وله لقب الملك، وجعلت (الزَّبَّاء) لنفسها لقب الملكة، وقد بسطت نفوذها في آسيا الصغرى إلى مقربة من (بيزنطة) وظلت تدَّعي أنها تصنع ذلك في سبيل (رومة). وقد سُكَّ اسم (هبة الله) على العملة التي ضُربت في الإسكندرية سنة ٢٧٠م مع اسم (أورليان) الإمبراطور الروماني، ولو أن أورليان قد تفرَّد بلقب «العظيم» أو «أوغسطس». وقد وُجدت في بابل نقوش عليها اسم (الزَّبَّاء) و(أورليان) أو سلفه (قلوديوس) مع ألقاب **Augusta** و**Augustus.**

ولما آلت الإمبراطورية إلى (أورليان) في سنة ٢٧٠م، أدرك ما في سياسة (الزَّباء) من الخطر على وحدة الإمبراطورية؛ إذْ إن مظاهر المداراة كانت قد

اطرحت من قبل وانكشفت نيات (الزَّبَّاء)، فإن ابنها ضَرب العملة باسمه فقط، وخرج على (رومة). فأرسل (أورليان) حملة إلى (مصر) على رأسها القائد (بروبس **Probus**) في سنة ٢٧٠م، واستولى عليها. وأعدَّ الإمبراطور في سنة ٢٧١م حملة أخرى على آسيا الصغرى والشام، فدخلت آسيا الصغرى في أواخر سنة ٢٧١م، ودحرت حامياتها التدمرية، ووصلت إلى (أنطاكية) حيث وقفت أمامها (الزَّبَّاء) بجيشها فانهزمت بعد أن لحقتها خسائر فادحة، وتقهقرت إلى ناحية (حمص) التي يبدأ عندها الطريق إلى مقر ملكها، وقد أبت أن تستسلم إلى (أورليان) وجمعت جيشها في (حمص) لتخوض المعركة التي تحدد لها مصيرها. ولكنها انهزمت في النهاية ولم يبق أمامها إلا الفرار في الصحراء نحو (تدمر)، فتابعها (أورليان) بالرغم من وعورة الطريق وحاصر مدينتها المنيعة، وفي

هـذه السـاعة العصـيبة خـذلتها شـجاعتها ففـرت هـي وابنهـــا مـــن المدينـــة لاجئـــة إلى ملـــك (الفـرس)[1] مسـتنجدة بـه، إلَّا أنـه قـبض عليهـا علـى شاطئ الفرات. ولما فقد التدمريون أملهم بهذه النكبة ألقـوا سـلاحهم، فأخـذ (أورليـان) كـل مـا في البلـد مـن الغنائم وأبقى على أهلها، وأمَّن (الزَّبَّاء) على حياتها، إلَّا أنه قتل كل قوادها ومستشاريها ومن بينهم العالم المعروف (لونجينـوس Longinus). وقـد دخلـت (الزَّبَّاء) مدينـة (رومة) في موكب الإمبراطور الظافر، وارتضت خذلانها في عــزة نفــس وشمــم، وقضــت أيامهــا الأخــيرة في (تيبـور Tibur) حيـث عاشـت هـي وابنهـا عيشـة سـيدة رومانيـة، ولم تمـض أشـهر قلائـل حـتى ثارت (تـدمر) ثانيـة فعـاد إليهـا (أورليـان) علـى غـير انتظـار ودمَّرها ولم يُبقِ على أهلها هذه المرة...

ومـا يُـرْوَى عـن (الـزَّبَّاء) مناقشـاتها مـع كبـير

الأسـاقفة **Paul of Samosata** في المسـائل الدينيـة. ويـرجَّح أنها كانـت تحسـن معاملـة اليهـود في (تدمر)، فقد أشار إلى ذلك (التلمود). ومدينة (تدمر) مقـر ملـك (الـزَّبَّاء) تقـع على مسـافة ١٥٠ مـيلًا إلى الشــمال الشــرقي مــن (دمشــق)، وكانــت الحــروب الفارســية "**Parthian**" ســببًا في ظهورهــا بــين ممتلكـات (رومـة) واعتلائهـا ذلـك المركـز الممتـاز فيهـا. كانــت الأســرة الساســانية في ذلــك الوقــت في ذروة بأســها وعظمتهــا واتجهــت مطامعهــا إلى الممتلكــات الرومانيـة، فلـم يكـن للتـدمريين بـدٌّ مـن أن يختـاروا بـين (الفـرس) و(رومـة)، فانحـازوا إلى الإمبراطوريـة الرومانيـة الـتي كانـت قـد حبـت أشـرافَ (تـدمر) ألقابها وعينـت بعضًـا مـنهم في مجلـس الشـيوخ وجعلـت واحـدًا مـنهم قنصــــــلًا وهــــــو زوج (الــــــزَّبَّاء) المســــــمى أذينــــة"**Odainath**" ، وكــان ذلــك في عهــد

الإمبراطور فاليريان سنة ٢٥٨م.

وانتهى الصراع بين (رومة) وبلاد (الفرس) باندحار الرومانيين سنة ٢٦٠م، واكتساح الفارسيين آسيا الصغرى وشمال سوريا، وأسر إمبراطورهم (فاليريان Valerian) الذي مات في أسره، فرأى (أذنية) زوج (الزَّبَّاء) بثاقب بصره أن يتودَّد بعد ذلك إلى (شابور) ملك الفرس، وأخذ يرسل إليه الهدايا والكتب الكثيرة فكان يرفضها بازدراء، وكان ذلك سببًا في أن يلقي (أذينة) بنفسه في أحضان (رومة) مدافعًا عن قضيتها، وقد كافأه (جالينس) Gallienus بتعيينه في منصب (رئيس المشرق Dux Orientis كوكيل للإمبراطورية في الشرق في سنة ٢٦٢م. ومن ذلك الوقت أخذ يعمل لاسترداد ما خسرته (رومة) بعد أن ضم إليه فلول الجيش الروماني، فحارب (شابور) وتغلب عليه وأعاد المملكة الشرقية إلى

(رومـة). وفي أوج انتصـاراته قُتـل هـو وابنـه الأكـبر (هيرودس (Herodes في حمص سنة ٢٦٧م، فآل ملك (تدمر) إلى (الزَّبَّاء) التي كانت تُناصر زوجها في سياسته، وحكمت باسم ابنها الصغير (هبة الله)، وكان لها جيش يبلغ السبعين ألفًا عزمت على فتح مصر به، فـتم لهـا ذلـك في سـنة ٢٧٠-٢٧١م كمـا قـدمنا، فانتهت مطامحها بأسرها على ما بينَّا في سنة ٢٧٣م. أما لغة تدمر فهي اللغة الآرامية، وكان أهلها يعبدون الشمس، ومعبد الشمس لا يزال إلى الآن أكبر الآثار التدمرية.

الهوامش

(١) لا يعرف بالضبط إن كان هذا الملك شابور هرمز.

مَوْضُوعُ المسرحية

كانت (الزَّبَّاء) ملكة (تدمر) آية في الجمال كما كانت آية في الذَّكاء وعُلُوِّ الهمةِ، جريئة طامحة. فبعد أن جلست على كرسي مملكتها بالوصاية على ابنها (هبة الله) إثر وفاة زوجها (أُذينة) ونَظَّمَتْ مُلْكَها، جرَّدت هذه الملكة العربية المصرية الإغريقية الأصل حملةً عظيمةً على مصر برئاسة وليِّ عهدها (هبة الله) وبقيادة بيلنيوس القائد الأعظم لجيشها وهو الذي كان يحارب (تحت إمرة زوجها أُذنية) الملك (شابور) الفارسي لمصلحة (رومة) فتغلب عليه، وإنْ قُتِل (أُذينة) وابنه الأكبر في تلك الحرب التي كان من عاقبتها إعادة المملكة الشرقية الرومانية والتحالف بين (تدمر) وبين (رومة).

جرَّدتْ هذه الملكةُ الطامحة – التي تبدأ بها قصَّتُنا – حملتها على (مصر) اعتمادًا على مهارة قائدها الأعظم (بيلنيوس **Pilinius**) السالف الذكر بمعاونة قائدها

زَبْدَة "Zabda"، وكان الأوَّل مولَّدًا من أبٍ روماني وأم تدمرية، ففتح (مصر) بسهولة نظرًا لمودة الأهالي، وكان يعتقد أنه يعزِّز سلطة (رومة) كما يخدم (تدمر) بهذه الحملة، وقد أفهمتْه الملكة (الزَّبَّاء) ذلك مخادِعة، بينما هي ترمي إلى نشر نفوذها، ولذلك تركت ابنها في (مصر) واستدعت هذا القائد إثر الفتح. وكان يطمح في التزوُّج منها ليكون ملك (تدمر) المتوَّج، كما كان يحبُّها حبًّا مصلحيًّا ويغار من عنايتها بصديقها الناصح الأمين (لونجينوس **Longinus**). وكانت الملكة تُعْنَى بمباحثة كبير الكهنة (ثاديوس **Theddeus**) في المسائل العلمية والأدبية؛ لأنها كانت أديبةً تجيد من اللُّغات العربية والآرامية والمصرية، وألَّفت كتابًا عن تاريخ الشرق، وكان كبير الكهنة هذا يغار بدوره من عنايتها بالفيلسوف (لونجينوس)، وكان لكبير الكهنة (ثاديوس) بنت تُدعى (مِرَندا **Miranda**) وكانت تعشق القائد الأعظم (پيلنيوس) ويشجعها على ذلك والدها بإغضائه أيضًا وبتودُّدِه للقائد هذا، بينما (پيلنيوس) لم يكن يعرف للحبِّ الحقيقي معنى، ولكنه عرف كيف يستغل حبَّ (مِرَندا) له

وكراهية والدها (للونجينوس) الفيلسوف صديق الملكة الحميم. فلمَّا اتضح فيما بعد للإمبراطور الروماني (أُورليان) خطر (الزَّبَّاء) على سلطته وشدة مطامحها – لا سيما بعد أن ضرب ابنها (هبةُ الله) العملةَ المصرية باسمها فقط – بعث بحملة إلى (مصر) وتمكن من دحر جيشها هناك، ثم أردف هذه الحملة بأخرى على آسيا الصغرى والشام بقيادة القائد (مارسيوس **Marcius**) فهزمت جيوش (الزَّبَّاء) لا سيما في (أنطاكية) و(حمص) واضطرت (الزَّبَّاء) إلى التحصُّن في (تدمر). ويرجع أكبر الفضل في انتصار الرومانيين عليها إلى تجسُّس (مِرَنْدَا) وخذلان قائدها (پيلنيوس) إيَّاها، بعد أن ساومها في ساعة الشدة على الزواج منه فرفضت بشمم، فدعاه إباؤه إلى الانضمام الكلِّي إلى القائد الروماني (مارسيوس **Marcius**) وتآمر الاثنان على التنكيل بجيشها وسحق ملكها. ولولا انضمام (پيلنيوس) إلى الرومانيين ما استطاعوا اجتياز القفار والاستحكامات المنيعة بعد موقعة (حمص) والتمكن من محاصرة (تدمر). ولولا ثقة الملكة (بمرندا) الطيبة القلب التي خدعها (پيلنيوس) ولولا حبُّ

الأخيرة لهذا القائد الخائن المخادع الذي استغلَّ مركزه لنفعه الشخصي لَمَا آل الأمر إلى محاولة (الزَّبَّاء) وابنها الهرب إلى ملك الفرس للالتجاء إليه دون نجاح في هذه المحاولة، فتُؤْخَذُ عندها (الزَّبَّاء) أسيرة إلى (رومة) وعليها سلاسل الذهب والجواهر، ماشية أمام عربة الإمبراطور (أورليان) في هوانٍ وضِعة فيكاد يُغْمَى عليها، ولكنها تتمالك نفسها وتخاطب (أورليان) في تأثُّر قائلة له: إنَّه إذا كان عاملها هكذا جزاءً لها فإنه لم ينصف، لأنه لولا قائدها (پيلنيوس) وأطماعه ورغبته في الزواج منها وتشجيعه الانفصال من (رومة) لما وقع ما يغضب الإمبراطور، وإذا كان قائدها هذا قد ناصره أخيرًا فليس ذلك حبًّا في (رومة) وإنما بدافع الانتقام الشخصي منها، ومثله لن يكون وفيًّا للإمبراطور بل هو أساس المصائب ومدبر كل خيانة. فيغضب عليه الإمبراطور بعد أن يصفح عنها ويعدها بحياة الكرامة والشرف مع أولادها في مدينة (تيبور). فيُقْبَض على پيلنيوس ويحكم عليه بالإعدام أمام (الزَّبَّاء). وتغدو معزَّزة لدى من كان آسِرَها مسترجِعة منزلتها الملكية، وقد توَّجَها (أورليان)

بإكليلٍ من الغار ووصفها بأنها حقًّا في الأسر آسرة، وفي القهر فاتحة، وفي الذلِّ مليكة! ومن كان هذا معدنها فليس لها إلَّا أن يُجلَّها الإمبراطور وأن تعيش عزيزةً بقية عمرها في ضيافة (رومة) الجديرة بأن تُعَدَّ وطنًا ثانيًا لها.

أشخاص المسرحية

- **الزَّبَّاء:** ملكة تدمر.
- **أورليان:** إمبراطور الرومان.
- **لونجينوس:** الفيلسوف الإسكندري والناصح الأمين للملكة.
- **ثاديوس:** كبير الكهنة لمملكة تدمر.
- **لورنتياس:** الوزير الأعظم لمملكة تدمر.
- **بيبلنيوس:** القائد الأعظم لجيش مملكة تدمر.
- **مِرَنْدا:** ابنة ثاديوس كبير الكهنة.
- **هبة الله:** وليُّ عهد الزَّبَّاء وابنها. (أشير إليه ولم يظهر في التمثيل.)
- **مارسيوس:** قائد الجيش الروماني. (أشير إليه ولم يظهر في التمثيل.)
- **حاشية – جند – جواري – راقصات – جمهور.**

نَسَقُ التَّمثِيلِ

الفصل الأول

يمثِّل هذا الفصل في مَشْهَدِهِ الشُّرْفَة الكبرى للقصر الملكي بمدينة (تدمر) وقد جلست (الزَّبَّاء) على مسمع مِنْ مرور بعض الجند العائدين من (مصر)، بعد أن أتمَّتْ فَتْحَها بدون مقاومةٍ بجَيْشها العظيم الذي بلغ سبعين ألفًا، وحولها معظم وزرائها وحاشيتها. ويبدأ الفصل بنشيد الجند الفاتحين، ثم يحدثها مهنئًا صديقها الفيلسوف الإسكندري (لونجينوس) فيذكِّرها بأن الشعب المصريَّ ذاته رحَّب بجيشها نظرًا للمودة التي بين المصريين والتدمريين، وهي حبيبةٌ إليهم؛ لأنها قريبة (كليوبطرة). ثم يجيء الوزير الأعظم (لورنتياس) مبلغًا إياها إجلال الجيش ومحبته وفرحه بالنصر ويستأذن في مثول القائد الأعظم (پيلنيوس) بين يديها، ويجيء هذا فتضع الملكة إكليل الغار المنمَّق بالغسول على رأسه، ثم تدعوه لأخذ مجلس الشرف بجانب وزيرها الأعظم، ويتبادلون التهاني والتقدير ثم

تطلب الملكة من (مِرَنْدَا) – ابنة كبير الكهنة (ثاديوس) والتي كانت معروفة بأنها تشاطر (پيلنيوس) الحُبَّ – بأن تقدِّم إلى القائد الأعظم (پيلنيوس) رمزًا آخر للفخر والمجد هديتها الملكية: وهي سيفٌ مُرَصعٌ بالجواهر، فتقدِّمه (مِرَنْدَا) إلى القائد الأعظم الذي يركع احترامًا لتناوله، ثم يقبِّله ويفيض بنشيد الشكر إلى الملكة، وتحيِّيها الحاشيةُ جميعها أجملَ تحيةٍ في فرحٍ عظيم، ثم يحين دورُ حامل العَلَم فتكرِّمه الملكة وجميعُ مَنْ معها. وهكذا يمثِّل هذا الفصل الأول استقبالًا فخمًا، وعَرْضًا للفتح، وتقديرًا للجيش المنتصر، وترديدًا لأماني (تدمر).

الفصل الثاني

يمثل هذا الفصل بمنظره الفخم «مَعْبَد الشمس» بمدينة (تدمر) وقد مرَّ عَهْدٌ طويلٌ على وقوع حوادث الفصل الأول، وأخذ الرومانيون يحاربون التدمريين بعد أن خافوا من امتداد نفوذهم وأوشكوا أن يشتبكوا معهم في معركةٍ خطيرةٍ حول (أنطاكية). ويبدأ الفصلُ بصلاة كبرى في المعبد استنجادًا على الأعداء، وقد حضرت الملكة وكبار حاشيتها

وسراة المدينة وذوو الحيثيات المختلفة فيها نساءً ورجالًا. وبعد انتهاء الصلاة تعلن الملكة رغبتها في أن تكون بخلوة مع رجال عرشها للمشورة، فيخرج الحاضرون ما عدا كبير الكهنة والوزير الأعظم والقائد الأعظم والفيلسوف لونجينوس، فتسأل الملكة قائدها الأعظم عما اعتزم أن يفعله إزاء هُجُوم الرومانيين الخطر، فيُجيبها مبالغًا في تقدير الخطر مشيرًا إلى أسر وليِّ العهد، ولكنه يعدها ببذل كلِّ قواه لصيانة المملكة ما دامت تمنحه رضاءها، ثم يلمِّح إلى طمعه في أن يشاركها العرشَ وأن يغدو زوجها وملك (تدمر) ... ولكنها تتجاهل هذا التلميح وتدعوه إلى الالتحاق بالجيش فورًا واستئناف الإشراف على هذا القتال، فيخرج مودِّعًا. ويُخْطِئُ الفيلسوف (لونجينوس) في تصوُّره أنَّ القائد الأعظم (پيلنيوس) مخلصٌ أمينٌ، فيقترح أن يُعْطَى يد (مِرَندا) بعد عودته ظافرًا، حاسبًا أنه يسرُّ والدها كبير الكهنة (ثاديوس) بهذا الرأي ... ولكن ثاديوس يقاطعه غاضبًا ويرفض هذه المشورة، ثم يفضي بخشيته من (پيلنيوس) وأطماعه، ولكن الملكة في شجاعةٍ وشَمَمٍ تعلن أنَّ

عرشها لشعبها، وأن نفسها ملك نفسها، ويخفف الوزير الأعظم من روعهم، ويتعاهد الجميع على نصرة الوطن.

الفصل الثالث

يمثل المنظر الأول لهذا الفصل «حصن تدمر» قُبَيْل الغروب في مشهدٍ رائع والشمس باعثة بأشعتها الأرجوانية بين صفوف النخيل على الرمال الذهبية والحجارة التاريخية العتيقة، ويبدو رجال الحامية في مواضع متفرقة ومعهم سيوفهم وسهامهم ودروعهم، وتبدو المنجنيقات في مواضع مختلفة من الحصن، وقد زارته (الزَّبَّاء) على موعد من القائد الأعظم الذي جاء من ميدان القتال بحجة تقوية الدفاع، ولكنه جاء في الواقع ليساوم (الزَّبَّاء) على الزواج منه حتى يصبح ملك (تدمر) وذلك ثمنًا لإنقاذه المملكة من خطر الرومانيين الزاحفين على (تدمر) بعد أن هزموا التدمريين أخيرًا في موقعة (حمص) وأخذوا يجتازون القفار والاستحكامات إلى العاصمة. فتعنِّف الملكة (پيلنيوس) وتذكره بفضل رعايتها وتعتبر مساومته إيَّاها في ساعة الشدة

إهانة لها بل خيانة لعرشها، فيحاول تبريرَ موقفه والدفاع عن نفسه وذكر مآثره على المملكة، ولكن هذا الدفاع يزيدها مقتًا له وغضبًا عليه، فتطلب منه أن يتركها على أي حال وتُعْلنهُ بأنه إذا خانها فستقود بنفسها الجيش، ولن تلقي السلاح حتى تحرر وطنها من غارة المغيرين ... فيتركها قائدها محتجًّا. ثم تدعو الحامية وتخاطبهم بحماسةٍ وطنيةٍ، فيقسمون بالإخلاص لها والتفاني في الدفاع عن (تدمر)!

ويمثل المنظر الثاني من هذا الفصل مَشهدًا ريفيًّا وشاطئ نهر (الفرات) في خلف المسرح وأشعة القمر مرْسَلة ما بين النخيل وتألُّق النجوم واضحًا في السماء، ويقع هذا المنظر بعد المنظر الأول بأسابيع قليلة، وقد تمكَّن الرومانيون بقيادة قائدهم (مارسيوس) وبفضل خيانة (پيلنيوس) من اجتياز القفار والاستحكامات المنيعة – بعد موقعة (حمص) – ومن محاصرة (تدمر)، ولكن بعد أن هرب وليُّ العهد (هبة الله) من الأسر والتحق بجيش العاصمة. وفي هذا المنظر تُمثل محاولةُ (الزَّبَّاء) الهرب مع وليِّ عهدها، حيث

آنستْ من الجيش الروماني المحاصَر غفلةً في إحدى الليالي فهربت ومعها طائفة من خاصتها على خيولهم ومعهم بعض الجند لتدبير الفرار لها ولولي العهد، قاصدة ملك الفرس للالتجاء إليه والاستنجاد به على أعدائها بعد أن كادت المدينة تسقط في أيدي الرومانيين. وفي أول المَنْظَر تبدو الملكة تحت ظلال النخيل في جانب من المسرح ومعها مِنْ حاشيتها كبير الكهنة (ثاديوس) والوزير الأعظم (لورنتياس) والفيلسوف (لونجينوس) و(مرندا) ابنة (ثاديوس) وقد آثروا جميعًا صحبتها وتوديعها رغم مخاطر الطريق ضمانة لسلامتها. فيتبادلون جميعًا العزاء والتشجيع والتأميل والتأسِّي والسخط على (پيلنيوس) الخائن، ثم التعاهد على التفاني في الدفاع حتى تصل نجدة الفرس المرجوَّة. وكان وليُّ العهد ومَنْ معه من الجند قد توجهوا إلى النهر لإعداد القاربين اللازمين للرحلة، ولكنه لا يعود ولا يبعث برسول إليها، ويطول انتظارها فتقلق، وبينما الوزير الأعظم يهدئ من روعها وهي تودِّع مَنْ معها إذ تفاجئهم عساكرُ الرومان فيُؤسَرون، وتلمح (الزَّبَّاء) قائدها الخائن (پيلنيوس) على

رأس آسريها فتغضب مشمئزةً، وترمي نعلَها في وجهه صائحة: «أهذا أنت يا خائن؟!» ... فتُسْدَل الستار العامة فورًا.

الفصل الرابع

يمثِّل هذا الفصل مَشْهَد جانبٍ من ساحة القصر الكبرى بمدينة (رومة) شائقةً بعُمُدِها وبناياتها الرائعة، وقد ازدحم أعيان الشعب في المكان المُعَدِّ لاستقبال الإمبراطور (أورليان) في عربته ماشيةً أمامها الملكة الأسيرة.

يتبادل الشَّعبُ والأشرافُ والجندُ هتافَ الفرح، ويبدو ركبُ الإمبراطور وفي مقدِّمته طائفة من الجند ثم القوَّاد وعلى رؤوسهم الغار وبينهم قائد تدمر الخائن (پيلينوس)، ثم الملكة (الزَّبَّاء) أسيرة، وعليها سلاسل الذهب والجواهر ماشيةً أمام عربة الإمبراطور وبجوارها حارسان يسندانها حيث يكادُ يغْمى عليها من التأثُّر بالهوان، ثم عربة الإمبراطور يجرُّها الجند ويحيطون بها، وتقف العربة بعد الظهور على المسرح. يبدي الإمبراطور إشارة التحية فيحيِّيه الجميع بإجلال،

ويخاطب أشراف رومة مُشيدًا بفضل الجيش، ويتلقى باقات الزهر من الشعب تقدِّمها له نخبة حِسان الرُّمانيات. ويخاطب الإمبراطور (الزَّبَّاء) مُعيرًا مُذكِّرًا بسفاهتها التي جَنَتْ عليها، فتردُّ عليه (الزَّبَّاء) بشَمَمٍ مخطِّئة رأيَه مُظْهِرةً أنَّ أصلَ الحروبِ والمتاعبِ قائدُها الخائن (پيلينوس)، الذي كان طامعًا في الزواج منها، فلمَّا رفضته عمل على الانتقام منها، وما انضمَّ إلى (رومة) محبَّةً فيها وإنما خيانة (لتدمر)، وهكذا تستثير الإمبراطور فيغضب على (پيلينوس) ويعتبره أصلَ العداء بين (رومة) و(تدمر) والمسئول عن ضياع الأرواح وخراب ما خُرِّب من بلاد وما أتلف من زرع، فيحكم عليه بالموت ويصفح عن (الزَّبَّاء) وينزلها ثانيًا منزلة المودة والإكرام والسيادة هي وأولادها في ضيافة مُلْكِهِ. وهكذا تنتصر (الزَّبَّاء) في أقسى ساعات الهزيمة وتبرُّ بقسمها – قسم الانتقام والتمسك بالشرف والكرامة – إلى أبناء وطنها.

الفصل الأول

(مشهد الشرفة الكبرى للقصر الملكي في مدينة تدمر وقد جلست الزباء على مسمع من مرور بعض الجند العائدين من مصر، بعد أن أتمت فتحها بدون مقاومة بجيشها العظيم الذي بلغ سبعين ألفًا، وحولها معظم وزرائها وحاشيتها. ويبدأ الفصل بنشيد الجند الفاتحين، ويراعى تمثيل العمد الضخمة الكثيرة واتساع الشرفة، بينما الجند لا يظهرون، وإن سُمع صوت مشيهم ونشيدهم في أقصى خلف المسرح.)

الجند (ينشدون في مشيهم العسكري):

احْكُمــــــي! احْكُمــــــي! والبْثــــــي فاتحــــــهْ

واغْنمــــــي واسْــــــلمي للمُــــــنَى الصــــــادحهْ

للعُلَى والحضارَهْ

للهُدَى يا مَنَارَه!

وانْهَضي بالشُّعُوبْ يا مَلاَذَ الدُّوَلْ

فالشَّقاءُ يَذوبْ إنْ بذلتِ الأَمَلْ!

للجنودِ البواسلْ

للكماةِ الأماثلْ!

وقد ظفرنا (بمصر) مثلما قد أردْتِ

فَخْرُنا أيُّ فَخْرِ طالما قد وَدَدْتِ

فانظُري باسمهْ

والبثي حاكِمهْ!

الزبَّاء (ملكة تدمر):

يا وزيري الأجلَّ بلِّغْ جُنُودي كُلَّ شكري مِنْ صَفْوِ قَلْبٍ وَدُودِ

إنَّ فَخْري بهمْ عظيمٌ، ولكنْ هُوَ في الحقِّ بَعْضُ فَخْرِ الجُدُودِ

وادْعُ لي القائدَ الجليلَ ليحظَى بِمُثُولِ المُبَجَّلِ المحْسُودِ

لورنتياس(الوزير الأعظم):

إنَّ هذا ليَوْمُ عيدٍ وأُنْسِ فاقْبَلي التَّهنآتِ من كلِّ نَفْسِ

(ينحني احترامًا ويخرج.)

حاشية الملكة:

يا لَنَصْـــــرٍ حُزْتِـــــهِ فِي جـــــــلَالْ فِي وَفَـــــــــاءْ

فِي كَرَامَـــــــــةْ!

إنَّ شَـــعْبًا سُسْـــتِهِ لـــــن يُـــذَالْ أو يُسَـــــــــاءْ

فِي زَعَامَـــــــةْ!

طالمـــا أرْشَـــدْتِهِ المُحـــــــالْ للعَـــــــــلَاءْ

للإمامَـــــــــةْ!

لونجينوس (الفيلسوف الإسكندري)

مـــا فَتَحْـــتِ (مِصْـــرَ) فَتْحًـــا كَعَـــــــدُوٍّ أو خصـــــــيمْ

بـــل جعلـــتِ الفـــتْحَ مَنْحًـــا مِـــنْ نَـــدَى شَـــعْبٍ كـــريمْ

لِمُنى شَعْبٍ كريمْ

فيـــكِ ذِكْـــرَى (كيلُبَطْـــرَهْ) فِي جَـــــلَالٍ وقَرَابَـــــــةْ

فـــــامْنَحي (للنيــــــل) قَطْــــرَه   مِـــنْ رضًـــى تُفْـــنِي اكتئابَـــهْ

واقْبَلي الحُبَّ الصَّميمْ

الملكة:

خَيْــــرُ شُـــــكْرٍ يا صــــديقي   نُصْــــحُكَ الــــوافي ثمـــــينْ

أهـــلُ (مِصْـــرَ) مِثــلُ قــومي   ولهـــــم حُــــبِّي الأمــــينْ

ولهم شكري العظيمْ!

(يدخل الوزير الأعظم ويحيي الملكة.)

الوزير الأعظم:

الجَــــيْشُ في فَـــرَحٍ عظيــــ   ــمٍ بابتهاجِـــكِ يا مليكَـــهْ

والقائـــدُ البَطَـــلُ المُجيـــ   ــزُ لـكِ الخُضُـوعَ بـلا شـريكهْ

يُهْـــدِي إليـــكِ تجلَّـــةً   حـــتى يُشَـــرَّفَ بالمُثُـــولْ

وينـــالَ إكلـــيلًا مـــن الــــ   ــغارِ المُنَمَّـــقِ بالغَسُـــولْ[1]

وينـــالَ نَظْرَتَـــكِ السَّعيــــ   ــدَةَ والكفيلَـــةَ بالسَّـــعادَه

فَينـــالَ مِـــنْ شَـــرَفِ الرعـــا يـــةِ فـــوقَ إجـــلالِ القيـــادَهْ

(يقعد في مجلسه بعد إبداء الاحترام للملكة.)

الملكة:

مَرْحبـــــــا! ومَرْحَبـــــــا! ولْيَـــــــــزِدْنَا طَـــــــــرَبا!

قائـــــــــدٌ بحذْقِـــــــــهِ نال فَتْحًـــــــا عَجبَـــــــا

قـــــد حَبَـــــانَا للعُلـــــى ســـــــبَبًا وسَـــــــبَبَا

الحاشية (مرددة)

قـــــد حَبَـــــانَا للعُلـــــى ســـــــبَبًا وسَـــــــبَبَا

(يدخل القائد الأعظم لجيش الملكة فيقبل طيلسانها في خضوع ثم ينشد.)

بيلنيوس(القائد الأعظم)

لكِ الجلالُ وفَضْلُ الفَتْحِ مولاتي!

(تضع الملكة إكليل الغار المنمق بالغسول على رأسه ثم

تدعوه لأخذ مجلس الشرف بجانب وزيرها الأعظم.)

الملكة:

خُــذْ مجلــسَ الشَّــرَفِ العَلــي   فقــدْ سَمَــوْتَ بمجــدِ (تَــدْمُرْ)

(يجلس القائد شاكرًا.)

القائد الأعظم:

عَفْــوًا! فَوَحْيُــكِ كــان يَهــْ   ــدِينَا الطريــقَ إلى الفَخَــارِ

ومِــن التَّفــاني في الــولا   ء إليــكِ أُلْهِمْــتُ انتصــاري

و(لمصــر) فضْــلُ العَطْــفِ عَطـْ   ــفِ الأهــلِ قَبْــلَ شُــعورِ جــارِ

فاسْــتَقْبَلتْنَا في وَفَــا   ء وافــتزارٍ وافتخــارِ

الحاشية:

أَشْـرِقي يا طلعـةَ الشـمس البهيَّـهْ   إنمــا تُحبــين آمــالَ البريَّــهْ

كلُّ ما أَلْهَمْتِ منْ نَصْرٍ عظيمْ

كلُّ ما أَنْعَشْتِ مِنْ حُبٍّ مُقيمِ

إنما الدُّنْيَا مُحَيَّاكِ الوسيمْ

فـاهْنئي بالنَّصْـرِ يا نُـورَ الرَّعيَّـهْ	واقْبَلـي منَّـا التحيَّـاتِ العَليَّـه!

الملكة:

يا قائـدَ الجـيشِ الرفيـعِ السَّـنا	قـد أُنْصِـفَ الجـيشُ فقَـرَّ السَّـلَامْ

هنَّأتُـــك الآنَ ولكنَّمـــا	هُنِّئْـتَ مِـنْ قَبْلِـي بلَمْـع الحُسَـامْ

مَـنْ حَـازَ مـا حُـزْتَ فقـد فاتَـهُ	الهِمَّـةُ الكُبْـرَى فكُنْـتَ الهمـامْ

يا بانِيَ التـــاريخِ في مُلْكِنَـــا	قـد نِلْـتَ في الأمَّـةِ أسْمَـى مَقَـامْ!

القائد الأعظم:

عَفْـــوًا فحُكْمُـــك في النُّهـــى	يَبْقَـــى كمـــا يَبْقَـــى البَهَـــا

مـــا كُنْـــتُ إلا عَبْـــدَك الـــ	ـــوافي ولـــو بلـــغ السُّـــهَى

وقـــد ابتـــدا بأبيـــكِ فخـــ	ـــري فاتحًـــا وبـــكِ انتَهَـــى

فمُـــرِي فحَسْـــبِي خِدْمَـــةٌ	لـــكِ دائمًـــا أحيـــا لهَـــا

فـــأعيشُ مَحْسُـــودًا لهـــا	وأدومُ مفتــــونًا بِهَـــا!

الملكة:

قَـدِّمي السَّـيْفَ حَاليًـا يا (مِرَنْـدَا) رَمْـزَ مَجْـدٍ لِمـنْ حَبَـا الْمُلْـكَ مَجْـدَا

إنْ تَزِنْـهُ الحُلـيُّ فـالفَخْرُ مِـنْ شَعـْـبي ومــنّي بــه ســنِيًّا تَبَــدَّى

وجَمَــالٌ لــديكِ يُكسِــبُهُ حُســْـنًا جديدًا، ويُكسِبُ الحسنَ حَمْدَا

ويَـــدَاكِ اللَّتَـــانِ أوْلى بتَقْبيــــلٍ تبثَّـانِ قُبْلـةَ الشــكرِ رَدًّا

هكـذا تُشْـكَرُ الشَّـجَاعَةُ والإخـلَاصُ للمـوطنِ العزيـزِ المُفَـدَّى!

(تنهض مرندا حاملة السيف المرصع بالجواهر بكلتا يديها لتقدمه إلى القائد الأعظم الذي يركع احترامًا لتناوله.)

مِرَنْدَا (ابنة كبير الكهنة)

رَبَّـــةَ التَـــاجِ إنَّ أمْــــرَكِ تَشــْـرِيفي وكُلِّي ما عِشْتُ طَوْعٌ لأمْرِكْ

وأنا الآنَ في سُـــــرُورٍ وفخْـــــرٍ أهِبُ السيفَ مُعْلِنًا صِدْقَ فَخْرِكْ

فتقبَّـــلْ يا ســـيِّدَ الجُنْـــدِ إعجــابًا مــن العــرشِ والرَّعــايا بقَــدْرِكْ

وخُـذ السـيفَ ظـافرًا شـارةَ الذِّكـرَى لنصـر، ولْيبـقَ مـرآة نَصْـرِكْ!

(يتناول القائد الأعظم السيف ويقبله، ثم ينشد هذا الشعر التالي قبل الجلوس وتعود مرندا إلى مجلسها.)

القائد الأعظم:

بُورِكْـــــــتِ يا مَـــــــوْلاتي   وبَقيـــــتِ نُـــــورَ حَيَـــاتي

ضَـــاعَفْتِ نَصْـــري هكـــذا   برِضـــــاكِ يا مـــــولاتي!

(تدخل ثلاث جوار حسان في ثياب راقصات من كل من جانبي المرقص ويرقصن نحو خمس دقائق على نغم النشيد الآتي الذي تنشده الحاشية.)

الحاشية:

أسْـــعَدْتِنا فـــدعي قلْـــبي   خـــالي الـــذنبِ يُبْـــدِي نجْـــوَاهْ

وزِدْتِنَـــا بعـــدَ الحـــربِ   بأسًـــا يَسْـــبي مَـــنْ لا يخشـــاهْ

فلــــــكِ الحمـــــــدُ   ولــــــكِ الحُـــــــبُّ!

المُلْـــكُ بالـــرَّأيِ السَّـــامي   ثم الأجْنَـــــــــــــادْ

فَتَحْـتِ مِـنْ قبـل حُسَـامِ   بحجًـى وَقَّـادْ

كَوَّنـتِ شَـعْبًا يَهْـوَاكِ   لَـنْ ينسـاكِ

يَرْعَـاكِ حُـبٌّ رَعَـايَاكِ   لـو أرضـاكِ

يا زينـةَ العَـرْشِ الزَّاهـي   يا شـبه مَـلَاكْ

ذِكْـراكِ رَاحُ الأفـواهِ   ومُـنَى الأفـلاكْ

عِيشـي لنـا دَهْـرًا حُـرًّا   عَـيْشَ الإحْسَـانْ

واسْـتَقْبلِي منَّـا شُـكْرًا   مِـلْءَ الوِجْـدَان

وَسَـامحي تكـرارَ هَـوَى   يحلـو ويطيـبْ

مِـنْ كـلِّ قلـبٍ عَـرْفُ مُـنَى   وَوَفـاء حَبيـبْ

أسْـعدْتِنا فَـدَعي قلـبي   خـالي الـذنبِ يُبْـدِي نجْـوَاهْ

وَزِدْتِنَـا بَعْـدَ الحـرْبِ   بأسًـا يَسْـبِي مَـنْ لا يخشـاهْ

فلـكِ الحمـدُ   ولـكِ الحُـبُّ!

(تخرج الراقصات من المسرح بانتظام كما دخلن وهن يرقصن الرقصة الأخيرة.)

ثاديوس (رئيس الكهنة مخاطبًا الملكة)

أستمدُّ الثناءَ للعرشِ منكِ حليةُ التاجِ وَحْيُ نفسِكِ تلكِ

أنتِ إلهامُ خاطري وعِبَادَا تِي إلى (الشمس) ثم نجوايَ عنكِ

سأُقيمُ الصلاةَ في المَعبَدِ الضَّا حي، فعيشي مَنَارَ دينٍ ومُلكِ

أنتِ أهلٌ للشُّكر في منزِلِ الـ ـدِّين، فقد دُمْتِ مِثْلَهُ فوقَ شكِّ!

لونجينوس (الفيلسوف الإسكندري):

بعد هذا الفتْحِ مِنْ حَقِّ العَلَمْ أن يُحَيَّا منكِ محسودَ الجَلَالْ

فانظري للجيشِ يا شمسَ العُيُونْ

نظرةً تَجزيه كالكنزِ المَصُون

نظرةً تُعْطِيه ما تُعْطي الفُنونْ

مِنْ خُلُودٍ بعد أنْ لاقَى المَنُونْ

بتفانٍ في قِتَالٍ وشَمَمْ أو تفانٍ في اكتسابٍ للرجالْ

فاغتَدَتْ (مِصْرُ) لنا كَالجوْهَرَهْ

والتقينا والأماني النَّيِّرَهْ

واعْتَلَيْنَا للمعالي لا الشَّرَهْ

وغَدَوْنَا أُمةً مُنْتَصِرَهْ

تنظُــرُ الــدُّنيا إليهــا والأمَــمْ   نظـرَةَ الإعجـابِ حَقًّـا بالفعـالْ!

الملكة:

فليجـــــــــــئ إذَنْ   حامـــــــــلُ العَلَـــــــــمْ

إنَّ رمْـــــــــــــــزَهُ   ســـــــــيِّدُ القَسَـــــــــمْ

وَحيُـــــــــهُ لنـــــــا   طالمـــــــا ابتَسَـــــــمْ

وهـــــــو دائمًـــــــا   بالعُلَـــــــى اتَّسَـــــــمْ

الحاشية(مرددة)

فليجـــــــــــئ إذَنْ   حامـــــــــلُ العَلَـــــــــمْ

(يدخل حامل علم الدولة وقد رفعه قريبًا من الملكة، فتقف الملكة إجلالًا له وكذلك جميع الجالسين من

حاشيتها.)

حامل العلم (راكعًا على ركبته اليمنى وماسكًا العلم)

وديعـتي الشَّـرَفُ المسْـتَوْدِعُ العَلَمَـا ذِكْـرًا يـدوم، وتشـجيعًا لمَـنْ عَلِمَـا

وديعـــتي مَثَّلـــتْ عَرْشًـــا وَرَبَّتـــهُ وأُمَّـةً أدهشــتْ في فتحهـا الأُمَمَـا

فاســتقبليهِ وَفِيًّــا عــادَ مُبْتَسِــمًا بالنَّصْرِ حُرًّا كما قـد راحَ مبتسـمَا

الملكة:

هكــذا هكــذا تُصَــانُ الأمَانَــهْ يخْــدمُ الجُنْــدُ هكــذا أوطَانَــهْ!

القائد الأعظم:

باسمِ جَيْشِ المليكـةِ الشُّكرَ أُهديـ ـــهِ قرينًــا لمُســتَحَبِّ الخُضُــوعِ

كلُّنَــا في الــوَغَى يمثِّــلُ أعــلَا مًـا تناجيـكِ دائمًـا في خُشُـوعِ!

كلُّنـا كـانَ حامِـلَ الشَّـرَفِ العـا لي بـــذكراكِ والمُـــنَى والرُّبُـــوعِ

فـاملكي فَخْـرَ عسـكَرٍ (تـدمريٍّ) مســــتعِزٍّ بحبــــكِ المطبــــوعِ

(تقبّل الملكة العلم ثم تجلس فيجلس من قام معها من

الحاشية، بينما يرتل تبعها النشيد الآتي وتدخل الراقصات على النظام السابق من جانبي المسرح متابعات النشيد يرقصن نحو خمس دقائق.)

الحاشية:

الحُسْـــنُ في الـــدُّنيا سُـــلْطَانْ   والعَقْـــــــلُ سُـــــــلْطانٌ ثانِ

وأنْـــــتِ يا زَيْـــــنَ التِّيجَـــــانْ   لـــــديكِ عُـــــزّز الاثنـــــانِ

عقلٌ وحُسْنٌ رُوحاني!

النَّـــاسُ قـــد وُلِـــدُوا أحْـــرَارْ   فِـــيمَ الخُضُـــوعُ لحُكـــمِ مُلـــوكْ

أمَّـــا احتكامُـــكِ فهـــو فَخَـــارْ   فَخْـــرُ العدالـــةِ دونَ شُـــكوكْ

نورٌ وإصلاحٌ بانِ!

فاســـــتقبلي منَّـــــا حُبَّـــــا   والحُـــــبُّ دُرَّةُ كـــــلِّ حَبيـــــبْ

في الجِســــم يُودِعُهـــا قَلْبًـــا   في النشـــر مثـــلَ العَـــرْفِ تطيـــبْ

رُوحًا ولذَّةَ وِجْدَانِ!

عِيشـــي و(تَـــدْمُرَ) في تكـــريمْ   عَــــيْشَ العُلَــــى والحُرِيَّـــــهْ

وأحْيِـــي مَفـــاَخِرَ كـــلِّ عظـــيمْ   وابْـــــني صُـــــرُوحَ المَدَنِيَّـــــهْ

وابني رجاءَ الإنسان!

وســـــامحي طَـــــرَبًا جَمــــــا   في حَضْــــرة الحُســــنِ الفتَّـــان

فـــــالزَّهْرُ يُسْــــــكِرُنَا شَمـــــا   حِينًـــــا ويَفْتِنُنَـــــا أحْيَـــــانْ

وما عُرِفْتِ بِحِرْمَانِ!

(تسدل الستارة العامة في ختام النشيد.)

الهوامش

(١)الغسول: زهر بنفسجي وقرمزي جميل لعشب كثير الانتشار. والغار: الشجر المعروف، واحدته غارة.



الفصل الثاني

(يمثل هذا المنظر الفخم «معبد الشمس» وقد مر عهد طويل على وقوع حوادث الفصل الأول وأخذ الرومانيون يحاربون التدمريين بعد أن خافوا من امتداد نفوذهم وأوشكوا أن يشتبكوا معهم في معركة خطيرة حول أنطاكية. وهذا المشهد لصلاة كبرى في «معبد الشمس» استنجادًا على الأعداء، وقد حضرت الملكة وكبار حاشيتها وسراة المدينة وذوو الحيثيات المختلفة فيها نساء ورجالًا. وهذا المعبد أو الهيكل جامع لأروع النقوش الرمزية الدينية لعبادة الشمس، وقد وقف كبير الكهنة أمام المذبح وحوله أتباعه والمرتلات والمرتلون، وجلست الملكة وكبير وزرائها والفيلسوف لونجينوس وقائدها الأعظم، وجلس أعيان المملكة على الجانبين في صفين متقابلين، ويراعى إظهار رسم كبير مُذَهَّب للشمس على صدر الحائط الخلفي نافذة منه الأشعة الأرجوانية كما يوضع موقد للبخور مضاء بالنور

الأحمر بالقرب من المذبح.)

المرتلون والمرتلات :

(الشَّـــــمْسُ) حَيَـــــاةُ الأَيَّامِ وحَيـــــاةُ النَّـــاسِ وإنْ ضَـــــلُّوا

ومَــــلَاذُ عزيـــــزِ الأَحْـــــلَامِ للخَلْــقِ، يــدينُ لهــا (العَقْــلُ)

ما (الكونُ) إذا (الشمسُ) انقرَضتْ لا شــــيءَ، وحاشَـــا أنْ تَفْـــنَى

خَلَقَــتْ (دُنيَـا) وَحَبـتْ (أُخْـرى) وكَفَــتْ حُســنًا وَزَهَــتْ حُسْــنَا

في الصــــفوِ نناجيهـــا أَمَـــلًا في الهَـــمِّ نناشِـــدُها العَـــوْنَا

نسْـــتوْحي الحكمـــةَ والعَمـــلَا منهـــا، ونَـــرُدُّ لهـــا الـــدَّيْنَا

كبير الكهنة (دعاء) :

امْنَحـــي النُّـــورَ والهِدَايـــةَ حـــتى نُبْصِـر الحَـقَّ والصَّـوَابَ الحكيمـا

ربَّـةَ الكَـوْنِ أنـتِ أيَّتُهـا (الشَّـمْـ ـسُ) فأعْطي النفوسَ خيرًا عميمًا

وانشـري السـلم فـالحُرُوبُ وبالٌ تنشرُ العسفَ والخرابَ الجَسيمَا

أنتِ نورُ الأنوارِ، أنتِ هُدَى الـ إصلاحِ، ندْعوكِ أن تردِّي الأثيما

وانْصُري شَعْبَكِ الذي عاشَ بالإخـ ـلاصِ، لا تتركيه يَشْقَى غريمَا

المرتلات والمرتلون وجميع الحاضرين (صلاة عامة في ركوع وخشوع):

يا إلَـهَ الضِّياءْ يا إلَـهَ الحياهْ يا شُعَاعَ الخلودْ

أَلهِمينا الرَّجاءْ أَلهمينا النَّجاهْ مِنْ عَدُوٍّ لدُودْ

منكِ سرُّ البقاءْ للحُماةِ الكماءْ يا حياةَ الجُنودْ

عندكِ الالتجاءْ أنتِ أنتِ الإلـهْ الرحيمُ الوَدُودْ

كبير الكهنة :

بُورِكَتْ هذه الصلاةُ وبُورِكْـ ـتُمْ بخيرٍ برَغمِ كلِّ عَدُو

قُوَّةُ الشَّعْبِ في اليقين وليستْ قُوَّةُ الشعبِ مِنْ ضَلَالِ العُتُوّ

نَحْنُ شَعْبُ الشبابِ ما شَاخَ كالخصْـ ـم، ولكنَّهُ قَرينُ النُّمُو

يترَامَــى فنرْتَقِــي نحــنُ بالرَّغــ ــمِ ونبقَــى حياتَنَــا في سُمُــوِّ!

(تنهض الملكة وينهض الجميع إثرها.)

الملكة :

الآنَ أَرْجُـــــو خَلْـــــوَةً برجـــالِ عَرْشـــي للمَشُـــورَهْ

(يخرج جميع الحاضرين بعد إبداء الاحترام للملكة، ويبقى معها كبير الكهنة والوزير الأعظم والقائد الأعظم والفيلسوف لونجينوس، وينشد الآخرون أثناء الخروج بانتظام النشيد الآتي.)

الخارجات والخارجون من المعبد :

جَـلَّ هـذا الـدُّعَاءْ والصَّلَاةُ الوَفِيَّـهْ للإلــه المُنــيرْ مُســـــــتعزَّا

إنمـــا الاحتمـــاءْ للنُّفـوسِ الأبيَّـهْ في عُـلَاهُ الكبـيرْ دام حِـــــرْزًا

للنُّفُوسِ الأبيَّهْ

نَفْتَــدِي بالحيــاهْ (تَــدْمُرَ) الغاليــهْ نَفْتَـدِي بالحيـاهْ في تَفـــــانِ

لَـنْ نُـذِلَّ الجِبـاهْ للقُـــوَى العاتيـــهْ لَـنْ نُـذِلَّ الجِباهْ طَـــوْعَ جـــانِ

للقُوَى العاتيَهْ!

الملكة (جالسة وقد وقف تجاهها في احترام من بقي معها) :

بَعْـدَ الـذي حَـدَّثتني فيمـا مضـى ما الرَّأيُ (پيلنيوس)؟[١] ماذا يُرْتَجَى؟

مـا دام (مارِسْـيُوسُ)[٢] يَبغـي هَـدْمنا والجُنـــدُ مُرْتَـــدٌّ فعُقبـــانا الـــدُّجَى؟

مـا قُـوَّةُ (الرُّومـانِ) لَهْـوًا ... إنهـا وَيلٌ ... فهل أَعْدَدتَ منها مَخْرَجَا

هـــــذا أوانٌ للشــــجاعةِ كلِّهـــا والعـزمِ والجهـدِ المُضَـاعَفِ والحجَـى

إن فاتَ رأيُكَ أو جهادُكَ لم نجدْ رأيًا ولا جُهــدًا مُغيثًــا مُنتِجَــا!

بيلنيوس (القائد الأعظم) :

هــــــذا وَلِيُّ العَهـــــد مـــــأ سُـــورٌ وقـــد حُـــمَّ القضـــاءْ

وَعـــــــدُوُّنا في زَحفِـــــــه ملَـــكَ المســـالكَ والفضـــاءْ

لكنَّـــــني مـــــا زلـــــتُ أر جُـــو أن يحـــلَّ بـــه العنـــاءْ

وأصـــونَ مُلْكَـــك مِـــن فنـــا ... ءٍ والـــبلادَ مـــن الـــبلاءْ

وجميـــعُ سُـــؤْلي أن أُجـــا ... بَ لمـا سـأَلتُ مـنَ الرضـاءْ

الملكة :

أنـــتَ لي عُـــدَّةٌ وموضـــعُ إِكْبَـــا ... ري فأهـــلٌ إذَنْ لكـــلِّ رضـــائي

أَنـت عنـوانُ قُـوَّةِ الجـيشِ غـلَّا ... بًا فعـــشْ ســيدًا كبــيرَ المَضـــاءِ

القائد الأعظم :

إنَّ سُـؤلِي الحيـاةُ في شَـرَفِ العَـرْ ... شِ ... ...

الملكة (مقاطِعة) **:**

... ... لقـد حُـزْتَ كُـلَّ فَخْـرٍ لِعَرْشِـي

فاذْهَب الآنَ للوَغَى ناصرَ (الشَّمْـ ... ـسِ) فتحمي البلادَ مِنْ كُلِّ بَطْشِ

القائد الأعظم (يركع ويقبل يدها ثم ينشد) **:**

آنَ الـودَاعُ إذنْ ... فيـا تَـوْدِيعي ... كُـنْ لي علـى بُعْـدِي أبـرَّ شَـفِيعِ

هَـذَا دَمِـي سيُرَاقُ في سـاح الـوَغَى ... شَـرَفًا، فَعيشـي تَاجَ كـلِّ رفيـعِ

وَلَـــدَيْكِ أعْـــوَانٌ شُـــهُودٌ، كلُّهـــم واقٍ لـــذكرِ عـــواطفي وصَـــنِيعي

(ينحني احترامًا للجميع ثم يخرج بعد الاستماع لنشيد التوديع الآتي.)

الجميع :

سِـــرْ للـــدِّفاع عـــن الكَـــرَا مَـــة والحَضَـــارَةِ والمَفَـــاخِرْ

واحفَـــظْ (لتـــدمر) مَجْـــدَها مِـــنْ ذلـــك العـــادي المُكَـــابِرْ

فحِجَاكَ يومَ الرَّوْعِ قاهرْ!

(يسمع هذا النشيد خارج المسرح.)

الحاشية (خارج المعبد) :

هكـــذا هكـــذا الجريءُ الشُّجَاعْ فلْتنـــلْ مـــا تشـــاءْ يا حليـــفَ الظَّفَـــرْ

ولتعدْ في جلالْ! ولتعـدْ في جـلالْ!

لنْ يُصيبَ الأذَى الرئيسَ المُطَاعْ الشريفَ الإباءْ الحليفَ القَدَرْ

العديمَ المِثَالْ! يا عظيمَ المآلْ!

الفيلسوف لونجينوس :

بإذنِــكِ مــولاتي أرى خَيْــرَ نِعْمَــةٍ لتُهْدَى (لپيلنيوس) إنْ عَادَ ظافرا

بـــــــــدًا (لمرنـــــــــدا) ...

كبير الكهنة (غاضبًا) :

... حَسْـــــــبُكَ الآن لا تَـــــــزدْ وَلَا تَــكُ في هــذي المشــورة عــاثرًا

وكــم لــكَ رأيٌ ردَّه الحِلْــمُ فلْنَضَــعْ لنُصْحِكَ حَدًّا، واتْرُك النُّصْحَ ساخِرا!

الملكة :

أيُّ ذنــبٍ جنــاه يا (ثاديُــوسُ)؟! إنَّمَــا الحُــبُّ مــا تُعِــزُّ النفــوسُ

و(مِرَنْــدَا) تُحِــبُّ طلعــةَ (پيلنيــو سَ) حُبًّــا، كــذاك (پيلنيــوسُ)

لم يُســئْكَ الصــديق في نُصْــحِهِ هــ ــذا، ففيم المــلامُ يا (ثادِيُــوسُ)؟!

الفيلسوف لونجيوس :

حَسْــبِي شــهادتُكِ الكريمــةُ هــذه مـــا رُمْـــتُ إلَّا الـــوُدَّ والتقـــديرَا

أيُــلامُ مَــنْ بَــذَلَ المحبَّــة ناصــحًا ويُعَــدُّ مــن نَشــر الخــداعَ قــديرا؟!

كبير الكهنة :

مــا الــذنبُ ذَنْــبي بلــومٍ ... الــذَّنْبُ ذنــبُ صــديقِي

فكــم أشــارَ بــرأيٍ ... أدَّى لضــيقٍ وضــيقِ

وحَسْــبُنَا الحــربُ هــذي ... ...

الفيلسوف لونجينوس (متعجبًا عاتبًا) :

... ... مــاذا؟ أهــذا حقيقــي؟

فــيمَ الغُلُــوُّ بعــذْلٍ ... وأنــتَ دَوْمًــا رفيقــي؟!

فمــا نَصَــحْتُ وحيــدًا ... في النُّصْــحِ، أوْ في طريقــي![٣]

الملكة (عاذلة ناصحة) :

أَنْتُمَــا (فَرْقَــدَانِ) للمُلْــكِ فَلْيَبــْـ ... ـقَ على المُلْكِ مِنْ هُدَى (الفرقدين)

ووزيــري الأَجَــلُّ (كــالقمر) النــا ... شــر (للشــمس) نُورَهَــا رغــم بَــيْنِ

هكــذا أنتمــو الثلاثــة أضــوا ... ء حيــاةٍ وقُــوَّةٍ ثم عَــوْنِ

فدعوا مَسْلَكَ التَّنَابُذِ بَيْنَا خَصْمُنَا غالـــــبٌ، وكونـــــوا لِصَــــوْنِ

كبير الكهنة :

يا رَبَّـــــةَ التَـــــاج عَفْـــــوًا فمــــــا أرَدْتُ الإســــــاءهْ

وألـــــف شـــــكرٍ لشُـــــكْرٍ فأنـــــتِ أصـــــلُ الإضـــــاءَهْ

الوزير الأعظم :

باسم المليكةِ قُلْ ما شِئتَ وانْبينَا عمـا أَهَاجَـكَ يا مـنْ عُـدَّها دِينَـا

كبير الكهنة :

بأمـرِكِ الآن أرْوِي خشـيتي وَجِـلا مِـنْ قَائِـدٍ مـاكرٍ بالخُبـثِ يُلْهِينَـا!

الجميع (في دهشة) :

ماذا تقولُ؟

كبير الكهنة :

... نَعَـــمْ! بالخبـــثِ يُلهينـــا ويــتركُ الخصــمَ غــلَّابًا فيُفنينــا

وقــد سمعــتُ لــه تلمـيحَ مُجْـتَرِئٍ يَهْوَى من العرشِ حَظَّ المُرْتَجَى فينَا

فيُصْــبِحُ المَلِــكَ القَهــارَ في وَطــنٍ   قد صانَ مُلْكَك عَهْدَ الحُبِّ بل دِينَا

الجميع (في تعجب) :

ماذا تقولُ؟!

كبير الكهنة :

... ســـيُبدي يـــومَ حاجتنـــا   إليـه مـا كـان يخفيـه فيُشـقينَا ...

أمَّــا فَتَــاتي فلــن أرضــى مَحَبَّتهَــا   لــه وقــد بات خــدَّاعًا يُراضــينَا

وقـــد تَجِـــينُ أحـــايينٌ يُهـــدِّدُنا   بحيلــةِ الخــائنِ الجــاني فيُرْدِينَــا!

الملكة (متظاهرة بالدهشة) :

حيَّـــــــرْتني أيَّ حَيْــــــرَهْ!   مــــاذا! أيَنْشُـــــدُ ضَــــيْرَهُ؟!

هــــل جُـــــنَّ أم باع مَجْــــدي   إلى عَــــــــدُوِّي الألَــــــــدِّ؟

أم حَــــنَّ جَهْــــلًا لِأصْــــلِهْ؟   إذنْ فَحُكْمــــــي بقَتْلِــــــهْ!

بــــئس الجنيــــبُ الــــدخيلُ   إذا عـــــــداه الجميـــــــلُ!

أمَّــــا فُــــؤادي وعَرْشِــــي   فمِلْــــكُ شــــعْبي ونعْشــــي!

أظـــــل ربَّـــــةَ نَفْســــــي حـــــتى يُكَفَّـــــنَ حِسِّـــــي!

وَيْــــلٌ لـــــه مِــــنْ خَـــؤُونِ ومِـــــنْ أصـــــيلِ الجُنُـــــونِ

دَمِــــي فـــــداءٌ لقَـــوْمي ولـــــــن أُذَالَ بيَـــــــوْمِ!

الوزير الأعظم :

خَفِّفـي عَنْـك! بعـضَ هـذا فـإنِّي لا أرى الخـوفَ هكـذا أُسَّ حِكْمَـهْ

حَسْـــبُكِ اليَـــوْمَ يا مليكـــةُ أنَّا حَوْلَـكِ اليـومَ: حَزْمُنـا حَـزْمُ أُمَّـهْ!

الفيلسوف لونجينوس :

وأنا كــــذلك لـــــن أديـــــ ـــــنَ إلى الخيـــالِ والانزعـــاجْ

يكفـــــي التعـــاونُ باحـــــترا سٍ في حِمـــــى عَـــــرْشٍ وتاجْ

ومـــــن المليكـــــةِ قـــــدوةٌ للشـــــعب إنْ عـــــمَّ الخَطَـــــرْ

تُـــذْكِي شَـــجَاعتُهَا الجَبَـــا نَ وتُلْهِـــمُ الجُهْـــدَ الحجَـــرْ!

(تنهض فيقف الحاضرون.)

الملكة :

إذنْ فـــــــــلا تيأســــــــوا إذَنْ فقولـــــــــوا معـــــــــي

(ينشدون جميعًا مع الملكة البيتين التاليين.)

حَياتُنـــــــــا لِلـــــــــوغَى للمَـــــــــوْطِنِ المُوجَـــــــــع!

هيهـــــــــات أن يعتلـــــــــي الظـــــــــالمُ المُـــــــــدَّعي!

الحاشية (يسمع هذا الترديد في الخارج بينما الملكة ومن معها متجهون إلى باب المعبد للخروج) :

حَيَاتُنـــــــــا لِلْـــــــــوَغَى للمـــــــــوطنِ المؤجَـــــــــعِ!

هيهـــــــــات أن يَعْتلـــــــــي الظـــــــــالمُ المـــــــــدَّعي!

(ثم تسدل الستارة العامة فورًا.)

الهوامش

(١) بيلنيوس القائد الأعظم لجيشها.

(٢) قائد الجيش الروماني المحارب للتدمريين.

(٣) أو في خطتي.

الفصل الثالث

المنظر الأول

حصن تدمر

(يمثل المنظر حصن تدمر قبيل الغروب في مشهد رائع والشمس باعثة بأشعتها الأرجوانية بين صفوف النخيل على الرمال الذهبية والحجارة التاريخية العتيقة، ويبدو رجال الحامية في مواضع متفرقة ومعهم سيوفهم وسهامهم ودروعهم، وتبدو المنجنيقات في مواضع مختلفة من الحصن. وقد زارته الزَّبَّاء على موعد من القائد الأعظم الذي جاء من ميدان القتال بحجة تقوية الدفاع، ولكنه جاء في الواقع ليساوم الزباء على التَّزوج منه حتى يصبح ملك تدمر، وذلك ثمنًا لإنقاذ المملكة من خطر الرومانيين الزاحفين على تدمر بعد أن هزموا التدمريين أخيرًا في موقعة حمص، وبعد أن أخذوا يجتازون القفار والاستحكامات إلى العاصمة.)

الملكة :

مـاذَا؟ أتَنْسَـى أنـتَ فضْـلَ رعـايتي ... وتخْـونُ عَرْشـي في مقَـامِ جِـلَادِ؟!

أكذا الشَّجَاعةُ والشَّهامةُ والحِجى ... أكـــذا تكـــون قيـــادةُ القُـــوَّادِ؟!

أعـدَدْتَ لي وَطَنًـا غريبًـا عنـكَ لم ... تخْدِمْه حين نسيتَ حَقَّ بلادِي؟!

مـــاذا تَرَكْـــتَ لخـــاذِلي أوطـــانهم ... جُبْنـــا بيـــوم كريهـــةٍ وتَنَـــادِ؟!

القائد الأعظم :

مـا بـيْنَ أمـسِ مَضـى ويَـوْمٍ آتِ ... الحـــرْبُ لا تعنـــو أمـــامَ حيـــاةِ

حَصَدَتْ مئاتٍ للنُّفُوسِ وما وَنَتْ ... ولســـوفَ تُتْبِعُهَـــا بحَصْـــدِ مِئَـــات

وأنا الـذي دافَعْـتُ عنـكِ مجاهـدًا ... أسْمَـى وأكـرمَ مِـنْ دفـاعِ كُمـاةِ

أحْبَبْتُـكِ الحُـبَّ الـذي لا ينتهـي ... برعايـــــةٍ أو دعـــــوةٍ وصـــــلاةِ

وسَـعَيْتُ خَلْـفَ المسـتحيل ولم أنمْ ... في هَـــوْلِ معركـــةٍ وســـيلِ مَمَـــاتِ

أجـــزَاءُ مثلـــي أن يُعَيَّـــرَ هكـــذا ... بشـــجاعةٍ وصـــلَابَةٍ وثبـــاتِ؟!

الملكة :

لــيس هــذا مِــنْ دِفــاعٍ فــادَّكِرْ ... ما أصابَ الجيشَ مِنْ بَعْدِ انْهِزَامِ

كيـــف تأتي كجبـــانٍ لم يَقِـــرْ ... لحظةً في الحربِ مِنْ هَوْلِ الصِّدَامِ

إنمــا الجُنــديُّ في ســاح القِتَــالْ ... يبـــذُلُ الــرُّوحَ لأوطــانٍ تُعَــانِي

لـيس مَنْ يفخـر في وقـتِ المَلالْ ... لـيس مَـنْ يهـرُبُ جُبْنًـا للأمـانِ

كيــف ترجــو أن تُحَيَّـا بالجــلالْ ... وبقـايا الجـيشِ تُزْجَـى للهـوانِ؟!

ثم تأتي طالِبًـــا مـــنّي المُحَـــالْ ... حاســبًا أني أُضَـــحّي لجبـــانِ!

إنَّ عَرْشِـي مِلْـكُ قـومي وَحْـدَهم ... ثم نفسي مِلْكُ نفسي لا الحسام!

القائد الأعظم :

أتــردِّين هكـــذا سُـــؤلِيَ الحـــقَّ ... وتَنســـين كـلَّ مـا قـد بَـذَلْتُ؟

كـلُّ ما قد سَألْتُ أنْ أغتدي إلـْ ... ـفَكِ ... والعَدْلُ هكذا ما سألْتُ!

تَتَناســين ســاعةَ الخَطَــرِ الــدَّا ... هِمِ ... لا تذكرين ما قد كَفَلْتُ

الملكة :

بِرَغْمِـــيَ أنَّـــكَ مَـــنْ يَنْفَـــعُ ... ومَـــنْ يَـــدْفَعُ الخطْـــبَ أو يمنـــعُ!

فهـــل لـــكَ مِـــنْ عَـــوْدَةٍ للجهـــا ... دِ فتُكْرِمُـــكَ العـــينُ والمسْـــمَعُ

وتغـــدو أمـــيرًا بحُـــبِّ النُفُـــوسِ ... وهـل بعـد حُـبِّ الـورَى مَطمَـعُ؟!

القائد الأعظم :

نســـــيتِ حُـــــبِّي فَخَلِّـــــي ... عَـــذْلي، ففـــي العَـــذْل قَتْلـــي!

وســـــامحيني وَعُـــــودي ... إلى الرِّضــــــى والتَّجلــــــي

أكـــــانَ هـــــذا كثـــــيرًا ... علـــــى وَفـــــائي وعقْلـــــي؟!

فـــــإنْ رَضـــــيتِ فـــــإني ... ســـــأجعلُ النَّصْـــــرَ شُـــــغْلي

الملكة (غاضبة) :

أتُسَـــاوِمُ أنـــتَ علـــى عَرْشـــي ... وتعـــافُ الحـــرْبَ بـــلا ثَمَـــنِ؟!

فاذهَـــبْ إنْ شـــئتَ ولا تـــذهبْ ... إنْ خُنْـــتَ، فكُلِّـــي للـــوَطَنِ!

ســـأطيلُ الحَـــرْبَ بـــلا وهَـــنٍ ... ويـــلًا للبَـــاغي المُمْـــتَحن!

وأقـــودُ بنفســـي جَـــيْشَ أبي		للنَّصْـــرِ علـــى رَغْـــمِ الـــزَّمنِ

القائد الأعظم :

أكذا تغضبينَ؟!

الملكة :

... اذْهَـــــــبْ ودَعْـــــــني		لستُ مَـنْ تُشْـتَرى بتهديـد مـاكِرْ

القائد الأعظم (عاتبًا محتجًّا) :

قـد تمَادَيْـتِ رَبَّـةَ التَّـاجِ في اللَّـوْ		م، وقـد كـان كـلُّ لَوْمِـكِ ظُلْمَـا

وتَنَاسَـيْتِ كُـلَّ فَضْـلي وجُهْـدِي		فَعلـى الحَرْبِ أنْ تُسَـجِّلَ حُكمَـا!

(ينحني القائد الأعظم احترامًا للملكة ثم يتركها في شبه غضب.)

الملكة :

أيها الجندُ! ...

(يقبل أمام الملكة من جوانب الحصن عدد وافر من الجند في زيهم الحربي.)

الجند :

إنَّ أمـــــرَكِ طاعَـــــهْ ... ربَّــةَ العــرشِ والسَّـنَا والمَنَاعَـهْ![1]

الملكة :

مَنْ دَانَ منكم بحِبِّي؟

الجند :

... ... جَمِيعُنَــــا مَـــــنْ يـــــدينُ!

الملكة :

أتبذلون لِنَصْرِي؟

الجند :

... ... هيهـــات فينـــا الضـــنينُ!

(متحمسين.)

جَميعُنَــــا مـــــنْ يُضـــحِّي فمــــا يَعِــــزُّ الثمــــينُ

فأنـــتِ مُلْــــكٌ وكَنْــــزٌ وأنــــتِ تاجٌ وديـــــنُ!

الملكة (مشيرة إلى بعد خارج الحصن):

هـذا العـدُوُّ أتـى يُحاصـرُ (تَـدْمُرَا) من بعد ما اكْتَسَحَ المدائن والقُرَى!

الجند :

سَـــنُرِيقُ خـــيرَ دمائنـــا لـــدفاعِنا عَنْهـا بـلا وَهَـنٍ، ولَـنْ نتقهقـرَا!

وإذا التجـــأنا للقـــلاعِ فإنَّنـــا كالأُسـدِ جاثمـةً لتقـتحمَ الـذُّرى!

الملكة (تشهر سيفها) :

أقْسِـمُوا أقْسِـمُوا بسـيف البُطُولـهْ وانبـذوا الخـائنَ العـديمَ الرجولَـهْ!

الجند (يشهرون سيوفهم ويوجهونها نحو سيف الملكة) :

قَسَـــمًا بِسَـــنَاكِ وَدَوْلتـــهِ والمجـــدِ وموطننـــا العـــالي

ســـندافعُ عنـــكِ بـــلا وَهَـــنٍ كالجِنَّـــةِ قبـــل الأبطـــالِ

نَفْـــدِيكِ بأرواحٍ خُلقَـــتْ لتصـــونَ مُحَيَّـــاكِ الغـــالي

ونخـــطُّ بأســـيافٍ كَرُمَـــتْ تاريـــخَ كـــريم الأجيـــالِ

ونصـــونُ لأحفـــادٍ عِـــبرًا وفخـــارًا يَتْلُـــوه التَّـــالي!

(تنزل الستارة الداخلية لفترة قصيرة استعدادًا للمنظر الثاني.)

المنظر الثاني

(مشهد ريفي في الليل وشاطئ نهر الفرات في خلف المسرح، وأشعة القمر مرسلة ما بين النخيل، وتألق النجوم واضح في السماء، ويقع هذا المنظر بعد المنظر الأول بأسابيع قليلة، وقد تمكن الرومانيون بقيادة قائدهم مارسيوس وبفضل خيانة پيلينوس من اجتياز القفار والاستحكامات المنيعة – بعد موقعة حمص – ومن محاصرة تدمر، ولكن بعد أن هرب ولي العهد – هبة الله – من الأسر والتحق بجيش العاصمة، وفي هذا المشهد تمثل محاولة الزباء الهرب مع ولي العهد إلى ملك الفرس للالتجاء إليه والاستنجاد به على أعدائها، بعد أن كادت المدينة تسقط في أيدي الرومانيين، ثم استطاعة الرومانيين اللحاق بهما وأسرهما، وقد كان لمرندا الفضل الأول في محاولة تهريبهما بعد أن أيقنت خيانة پيلنيوس لها في حبها ثم خيانته للملكة وللشعب.)

الملكة (تظهر تحت النخيل في جانب المسرح ومعها من

حاشيتها كبير الكهنة ثاديوس) :

مـــــــا علينـــــــا الآن إلَّا وَقْفَـــــة تحـــت النخيـــــلْ

في ارتقابٍ للرحيلْ!

الوزير الأعظم :

بالــــرغم منَّـــا يا مليــــكةُ أن تســيري لاغــترابِ

لكــنْ لعــلَّ (الفُــرْس) تنــْجدُنا علــى هــذا المُصــابِ

كبير الكهنة :

هكـذا حِكْمَـةُ المقـادير شـاءتْ والـذي كنـتُ خاشـيًا قـد تَحَقَّـقْ

وكفـــانا مـــن الثبـــاتِ رجـــاءٌ لــكِ والعْـرشِ والـولاءِ المُحَقَّـقْ

الفيلسوف لونجينوس :

دَعــانا مــن الآلام ولنَــدْعُ بالهُــدَى وبالفَــوْزِ في المسْـعَى لصـاحبةِ التَّــاج

نَجَــاةٌ لهــا تكفــي نجــاةً لمُلْكِنــا متى رجعـتْ في عسـكر بـين أفـواجِ

فتكشـفُ عـن أوطاننـا غُمَّـة العِـدَى كمَا يثأرُ الإصباحُ من خَصْمِهِ الدَّاجي!

مرندا :

أمَّـــــا أنا فالصَّـــــفْح أطـــــْ ـــلُبُ منـــكِ حـــتى تَصْـــفَحي

لـــــــــولايَ (پيلنيـــــــــوس) لم يَـــــــــنْجَحْ ولم يَتَــــــــبَجَّحِ

أخْلَصْـــــتُهُ حُـــــبِّي فمـــــا أبْقَـــــى ولمَّـــــا يَسْـــــتَحِي

وقضـــى علـــى أمـــلِ الـــبلا دِ وقادَهـــــا للمـــــــذبحِ!

الملكة :

مـــــا مضـــــى ولَّى وَحسْـــــبي أن أُغيـــــثَ اليـــــوم شَـــــعْبي

أنا لا أمضـــــــــي هُـــــــــرُوبًا رُبَّمـــــا أمضـــــي لِخَطْـــــبِ

غـــــير أنَّ السَـــــعْيَ أجـــــدَى مـــــن سُـــــكونٍ يـــــومَ حَـــــرْبِ

لـــــيس لي ذنـــــبٌ بهـــــذا إنَّمـــــا الإخـــــلاص ذَنْـــــبي

الوزير الأعظم :

سـوفَ لا ينسـاكِ شَـعْبٌ لَـنْ يَحيـدْ عـــــــــــن ولائِـــــــــــــه

لا ولا أن يرتضـــي حـــظَّ العبيـــدْ　　في سمائِـــــــــــــــــــــــهْ

اقصـدي يا كوكـب التَّـاج العزيـزْ　　دون لَـــــــــــــــــــــــوْمِ

سـيِّدَ (الفُـرْس) فهيهـات يُجِيـزْ　　نشـــــــــــر ضَـــــــــــيْمِ

قـد غـدا (الرُّومـانُ) أشْـباهَ الجـرادْ　　في خَـــــــــــــــــــــرَابِ

واسْـتَحَلُّوا كـلَّ أنـواعِ الفسـادْ　　والعـــــــــــــــــــــذابِ

اذْهَـــبي بالـــرَّغم منـــا ولْتكـــوني　　بـــــــــــين أهْـــــــــــلِ

نحـــن مَـــنْ يُـــؤثرُ أنـــواعَ المَنـــونِ　　قبـــــــــــــــــــــلَ ذُلِّ

كبير الكهنة :

إنَّمـــا نحـــن وَحْـــدَةٌ أنـــتِ منهـــا　　مركـــزٌ ثابـــتٌ عزيـــزُ المقـــامِ

إنْ تُسِـــئنا الأيَّام دُرْنا ومـــا زلـــْ　　ـــنا نُناجيـــكِ لا رضـــى الأيَّامِ

والخَـــؤونُ الـــذي أســـاءَ إلينـــا　　ســـوفَ يلقـــى جـــزاءَه بالحُســـامِ

نحـن شـعبٌ أسـاسُ نهضـته الصَّبـْ　　ـرُ، وبالصَّـبرِ يرتقـي كـلُّ سـامِ

جُهْـدُنَا أصـلُهُ اليقـينُ فمـا نعْبـ ـبأُ بالـدَّهرِ أو أذى الظُّـلَّامِ!

الفيلسوف لونجينوس :

العُـــرُوشُ والأمـــمُ تُبْتَـــنى وتنهـــدِمُ

لا تعـــيش خالـــدةً حـــين فاتهـــا الشَّـــمَمُ

مـــوطنٌ لِنُصْـــرَتِهِ أنـــتِ لـــيس ينهـــزمُ

قـــد حفظـــتِ همَّتَـــه حـــين ضـــاعت الهِمَـــمُ

مرندا :

وَقَفْـتُ عليـكِ أحلامـي وقَلـبي وكـم عشـقتكِ أحـلامُ النِّسـاءِ

وكنـتُ أسـأتُ في ظـنِّي بحُـبِّي فأَلْهَمْـت الكـريمَ مـن العَـزَاءِ

سـنحفظُ ذكـرَكِ البـاقي ونَحيـا حيـاةَ المُؤمِنَـات علـى رجـاءِ

ونرتقـبُ اقـتراب غَـدٍ لثـأرٍ يُعيـدُ التـاجَ في أسمـى بهـاء

الملكة :

مـاذا جَـرَى والجُنْـدُ لمَّـا يحضُـرُوا أتـرى كُشِـفْنا أم أُضِـلَّ العسـكرُ

الوزير الأعظم :

هُـــــمْ والأمـــــيرُ يهيئـــــو   ن القَـــــارِبَيْنِ علـــــى نظـــــامِ

وَلَسَــــــــوْفَ يأتي جَمْعُهــــــــم   في فَتْـــــــــــرَةٍ للإغتنــــــــــامِ

(يسمع صوت خيل على نغم موسيقى لفترة صغيرة.)

الملكة :

والآنَ قبـلَ وَداعِكـم أُحيـي هُنـا   عَهْدِي بأن أشقى ولا أنْسى المُنى

وأذيــقَ مَــنْ باع الأَمانــةَ عابثًــا   بالمـوطن الغـالي الشَّـقاوَةَ والعَنَـا

أوْدَعْـتُكم أهلـي وخـيرَ عـواطفي   وأبَيْـتُ أن أجْـني علـى وطـني أنَا

حاشـا ليَ التَّسْـليمُ أو هَـرَبٌ بـه   عـارٌ، ولكـنِّي رَحَلْـتُ عـن الـدُّنى

وتركــتُ شــعبًا مؤمنًــا برجــاحتي   سـلَّ السـيوفَ الهـاجراتِ الأجْفُنَـا

فـإذا ظفـرتُ ملكـتُ كـلَّ عظيمـةٍ   وإذا فشلتُ فما حُرمتُ من السَّنَا

والشَّــعبُ لا يَهـوي شـقيًّا بينمـا   التَّـاجُ لا ينسـى الكرامـةَ دَيْـدَنا

فزِنــوا مــواقفكم وكونــوا قُــدْوَةً   للنـاس ... إنَّ النـاسَ قُـدْوَتُهُم بِنَـا

يا ويـلَ شـعبٍ عـاشَ وهـوَ مُضَـلَّلٌ   بالقائِــدين فمــا تقــدَّم مُؤمِنَــا

نــورُ الرَّجــاءِ بكــم فــلا تتهــاونوا   أو تحسـبوا حُكْـمَ الممالـك هيِّنَـا!

الجميع :

اطمئــــــنِّي يا مليكَــــــهْ!   اطمئــــــنِّي اطمئــــــنِّي!

عساكر الرومان (تسمع عن بعد أصواتهم ثم تقترب تدريجيًّا وقد عرفوا هرب الملكة وولي عهدها، فهبوا لمطاردتها ومن معها، ويقودهم قائدها الخائن پيلنيوس) :

قِفُــــــوا! قِفُــــــوا!   لا تُسْــــــــــــرِفُوا!

أَوْلى بكـــــــــــــم   أنْ تُشْــــــــــــرِفُوا[٢]

عــــــنْ بَحْثِنَــــــا   لــــــنْ تَخْتفــــــوا!

الملكة (في ثبات) :

حَكَـمَ القَضَـاءُ ولَا مَـرَدَّ لحكْمِـهِ   لكــنَّ لي أمــلًا يعــيشُ كبــيرا

أمَلــــــــــي بشَــــــــعْبي ...

حاشية الملكة (في اضطراب) :

... واجبٌ أن تختفي

الملكة (في ثبات وأنفة) :

... ... كـــلا! فقَـــدْرِي مـــا يـــزالُ قـــديرًا

أنا لا أهـــابُ ولـــن أكـــونَ أســـيرةً للجُبْنِ ... بل أذَرُ الغَشُومَ[3] أسيرا

هـــاتِي الصـــواعقَ يا سمـــاءُ فـــإنني أهـــلٌ لقلـــبٍ لـــنْ يُـــرَاعَ صـــغيرا!

(يدخل عدد كبير مسرع من الجند الروماني بقيادة قائدها الخائن پيلنيوس ويلتفون في دائرة واسعة حول الملكة ومن معها إلا من جهة النظارة.)

عساكر الرومان :

ســــــــــلِّمُوا ســــــــــيوفَكُمْ! ســــــــــلِّمُوا ســــــــــيوفَكُمْ!

حاشية الملكة (وقد شهروا السيوف وحاولوا التصدر دفاعًا عن الملكة ومرندا) :

تَحْيـــــــا (تَـــــــدْمُر)! تَحْيـــــــا المَلِكَـــــــهْ!

الملكة (في غضب واشمئزاز رامية نعلها في وجه پيلنيوس قائدها الخائن) :

أهذا أنتَ يا خائنْ؟!

(فتسدل الستار العامة فورًا.)

الهوامش

١) المناعة: القوة والاعتزاز.

٢) أن تطلوا وتظهروا.

٣) الغشوم: الغاصب الظالم.

الفصل الرابع

(مشهد جانب ساحة النصر الكبرى بمدينة رومة شائقة بعمدها وبناياتها الرائعة، وقد ازدحم أعيان الشعب في المكان المعد لاستقبال الإمبراطور (أورليان) في عربته ماشية أمامها الملكة الأسيرة.)

الشعب (أصوات مترددة خلف المسرح من بعد وقرب) :

عاشــــــــتْ (رُومَــــــــــةُ)! عاشــــــــتْ (رُومــــــــــهْ)!

(ثم يمر عدد منه رجالًا ونساء في مرح ويرقص الجميع على قطعة مطربة تعزفها الأركسترا نحو خمس دقائق، ثم يسيرون في طريقهم فيتركون المسرح من الجانب الآخر.)

(الماثلون أَمام النظارة في هذا المشهد) :

(رُومَــــــــةُ) اعْتَلِـــــــــي رُكْنَــــــــكِ العِلِـــــــــي

وافْرَحِـــــــــــي بمـــــــــا حُـــــــــزْتِ واحْفَلِـــــــــي

نَصْـــــــــرُنا عَـــــــــدَا   كُـــــــــلَّ مأْمَـــــــــلِ

زانَ صِـــــــــــــــيتُه   كُـــــــــلَّ مَحْفَـــــــــلِ

وبَـــــــــدَا سَـــــــــنَا   كُـــــــــلِّ هَيْكَـــــــــلِ

(رُومَـــــــــةُ) اعْتَلِـــــــــي   (رُومَـــــــــةُ) اعْتَلِـــــــــي

الجند (وتسمع أصواتهم خارج المسرح وهم مقبلون في ركب ينشدون هذا النشيد) :

احكمـي يا (رُومـةٌ) حُكـمَ العُلَـى   وانْشـري الـذكرَ عزيـزًا في المَـلَا

والْبثـــي للمعجـــزات مَـــوْئِلَا   وافتحـي الـدُّنيا وعِيشـي مَـثَلَا

للحيـــاةِ والمعَـــالي والفخـــارِ   للزَّعَامَـــــــهْ! للحضـــــــارَه!

•••

اقْبَلـــي اليــومَ تَحِيَّــاتِ الجُنُــودْ   وامنحـيهم نُـورَ مَـرْآكِ الـوَدُودْ

قـد أعـادوا بالـوغَى حَـقَّ الجُـدُودْ   وأَدَالُــوا كــلَّ مَفْتُــونٍ حَسُــودْ

بالثَّبَـــاتِ والفِعَـــالِ وانتصـــارِ   للكرامَـــــــهْ! للجَـــــــدَارَهْ!

(يدخل ركب الإمبراطور وفي مقدمته طائفة من الجند ثم القواد وعلى رؤوسهم الغار، وبينهم قائد تدمر الخائن بيلنيوس، ثم الملكة الزباء أسيرة وعليها سلاسل الذهب والجواهر، ماشية أمام عربة الإمبراطور، وبجوارها حارسان يسندانها حيث يكاد يغمى عليها من التأثر بالهوان، ثم عربة الإمبراطور يجرها الجند ويحيطون بها، وتقف العربة بعد الظهور على المسرح.)

الإمبراطور(أورليان) (يبدي إشارة التحية الرومانية فيحييه الجميع باحترام كذلك ويخاطب أشراف رومة) :

فَتَحْنَا (تَدْمُرَ) الفَتْحَ العَظيمَا وأسَّسْنا بِها حُكمًا حَكِيمَا

وهذا عَرْشُها يَهْوَى عديمَا فحيُّوا جُنْدَكم ... لا شكَّ فيمَا

حَبونَا مَنْ عظيمِ الانتصارِ!

الأشراف :

ألا يا أيها المَلِكُ العظيمُ تَقَبَّلْ قَبْلَهُمْ حُبًّا يُقِيمُ

فمنــك تــدفَّقَ الفَضْــلُ العمــيمُ ومنــكَ العَــزْمُ والــرأْيُ الســليمُ

فعشْ واسلمْ (لرُومَةَ) في ازدهار!

وأنــتم أيُّهــا الأجنــادُ أنــتمْ رجـاءُ الشَّـعْبِ، فَلْيُكْرِمْـهُ مـنكْم

وَفَـاءٌ لــن يُغيَّــبَ قــطُّ عــنكمْ وأهــلًا بالبســالة يــومَ صُــنْتمْ

لنا عَلَمًا ولم تقِفُوا لِعَارِ!

الجند :

شَــكَرْنَا فَخْــرَكُمْ هــذا بِفَخْــرِ فــنحن حُمَــاةُ موطِننــا الأَعَــزِّ

نســيرُ لِنَصْــرِهِ في كُــلِّ مِصْــرِ فمــن نَصْــرٍ لــه نمضــي لنَصــر

ونرجعُ بين أضواءِ النَّهار!

الشعب (أصوات مترددة خلف المسرح عن بعد وقرب) :

تَحْيا (رُومَةُ)

تَحْيا (رُومَةُ)

حسان الرومان (تدخل ثلاث حسان رومانيات حاملات

باقات الزهر من الشعب إلى الإمبراطور، وينشدن ثم يرقصن بعد ذلك على نشيد الجمع) :

قـــــد بُعثنـــــا بالتَّحـــــايَا   مِـــــلءَ باقـــــاتٍ نَدِيَّـــــهْ

فاقبـــــل الحُـــــبَّ المُـــــوَافي   يا مليكـــــا للرعيَّـــــهْ

واغتـــــبطْ بـــــين التَّهـــــاني   والأنَاشِـــــيدِ الهنيَّـــــهْ

إنمـــا قـــد حُـــزْتَ نَصْـــرًا   هَـــزَّ أعـــلامَ البَرِيَّـــهْ

كـــم رقصـــنا وشـــرِبنا   بالكئـــوس الذهبيَّـــهْ

فَلْنَـــدُمْ للنَّصْـــرِ رَمْـــزًا   ولـــتعشْ للمدنيَّـــهْ!

الإمبراطور (متناولًا الباقات وواضعها في عربته ومقبلًا رؤوس تلك الحسان) :

أهـــلًا بباقـــات شَـــعْبي   وبالتحـــايا الجميلَـــهْ!

نبيلـــةٌ في شـــعورٍ   وبالثغـــور النَّبيلَـــه!

ارقُصْـــن يا فاتنـــاتٍ   رَقْـــصَ الأمـــاني الجليلَـــهْ!

الجميع (ينشد الرومانيون هذا النشيد لإطراب

الإمبراطور بينما ترقص الحسان) :

يا (رُومَــةُ) اسْــتَمِعِي الأَلْحَــانْ   في حُــبِّ شــعبِكِ مفتــونَا

بحفظِ عَهْدِكْ!

إنَّا وَهَبْنَــاكِ الوِجْــدَانْ   فمــا وَهَبْنَــا مَغْبُــونَا

بفَضْل قصدِكْ!

تبقــين أنــتِ مَــدَى الأَزمــانْ   فالمجــدُ يبقــى مرهــونَا

بمثلِ جُهْدِكْ!

مــا عــاش شَــعْبٌ بَعْــدَ تَــوَانْ   بــل صــار مَيْتًــا مَــدْفونَا

عيشي لمجدِكْ!

(ثم تحيي الحسان الإمبراطور باحترام وتغادرن المسرح.)

الإمبراطور (مخاطبًا الزباء وقد تمالكت نفسها) :

والآن يا مَنْ جَنَتْ ذُلًّا بما صنعتْ   ماذا اكتسبتِ بهذا الذلِّ ألوانَا؟!

ضيَّعتِ مُلكًا كما ضيَّعْتِ سابقةً   مِــن المــودَّةِ قــد راعتــكِ أزمــانَا

الزباء :

أنــتَ أخطـأتَ عنـد ظنـك هـذا   إنَّ مثلـــي تَجِـــلُّ عـــن أن تُـــذَلَّا

لِيَ جســمٌ أســيرُ روحــي، وروحــي   دائمًــا تســكنُ المكــان الأجــلَّا!

(يظهر الحاضرون دهشة لكبريائها.)

الإمبراطور :

أتظلّـِــــين في الغـــــرورِ؟ ...   . إلامَـــــــــــا؟!

الزباء (في تأثر تنشد دفاعها) :

إنْ كُنْـتَ قـد أُوهِمْـتَ ذاكَ جَزَائـي   فلقـد جَهِلـتَ العـدلَ دونَ مِـرَاءِ!

أنا مَنْ حَفظتُ لك الودادَ فما دهى   ذاك الـودادَ وكُنْـتَ رَمْـزَ إخـائي؟

ســـائلْ شُـــعورَك ثم ســـائلْ خائنًـــا   كـم ظـلَّ يعمـلُ في سـبيلِ عَـداءِ!

(مشيرةً إلى قائدها الخائن پيلنيوس بينما هو في حيرة واضطراب.)

كـم حَضَّـني ودعـا لثـورة غاشـم   وحُــروبِ أهــواءٍ صــباحَ مســاءِ

فَنَهَرْتــهُ فــازداد غَيًّــا، عــاملًا   للحـــربِ ثم الفتنـــةِ الشـــعواءِ

لـولاه مـا عـرفَ التبـاغضُ موضـعًا   مِنَّـــا ولا بِتْنـــا أمـــامَ بـــلاءِ

إنْ كـان صـاحَبَكم فليس لصحبة   مـا حُـبُّ (رومـةَ) عِنْـدَه بجـزاءِ

بـــل رغبـــةً في الانتقـــام لأنَّـــني   لم أرضَـــه زَوْجًـــا فخـــان نِـــدائي

مَنْ كان ينقضُ هكذا عهدَ العُلى   أوْلى بـــه مـــوتُ الخبيـــثِ الـــدَّاءِ

أينـــالُ (أورليـــان) مـــنِّي هكـــذا   متناســـيًا وِدِّي وطـــولَ وفـــائي؟!

ويفوتــه ضَــرْب الخـؤون المعتـدي   بالســـيف، وهـــو مخـــادعٌ ومُرَائـــي

مَـــنْ خـــانَ أُمَّتَـــهُ فلـــيسَ لمثلـــه   شَـــرَفٌ ولا حـــقٌّ لـــدى الأعـــداءِ!

الإمبراطور (غاضبًا) :

أصـــحيحٌ مـــا قُلْتِـــهِ عَنْـــه؟ ... إنِّي   لم أكـــنْ مُخطِئًـــا إذنْ عنـــدَ ظَـــنِّي

أخْرِجُوه! ... أجلْ! ... فلستُ براضٍ   عـــن جبـــانٍ مخـــادعٍ شـــاء غَبْـــني

(يقبض عليه جنديان ويخرجانه من بين القواد وهو في اضطراب والقواد يتهامسون في دهشة.)

الجند :

قُلْ دِفاعَكْ

قُلْ دِفاعَكْ

القائد بيلنيوس (في وجل محتجًّا) **:**

مــاذا؟! ألــيس تحــايُلي ومحبــتي — برًّا (برومة) — سرَّ كلِّ نجاحِهَا؟!

سَـيْفي تقــدَّم ســيفَ كــلِّ مجَنَّــدٍ منهـا، ورأيـي كـان رُشـدَ سـلاحهَا!

هــل كــان يُغْــنِي جيشــها بمــآزقٍ لـولايَ مـا خضعتْ إلى مُجْتَاحِهَـا؟!

الجند وقوادهم :

جَهْـــــلًا تمـــــنُّ علينـــــا ونحْـــــنُ أبنـــــاءُ (رومَـــــهْ)

الوارثون الشَّجاعهْ

إنْ طِبْـــتَ نفسًـــا وَعيْنـــا فأنـــت أصـــلُ الخُصـــومَهْ

وداءُ مُلْكٍ أضاعهْ

الإمبراطور (غاضبًا) :

أنْـتَ يا مَـنْ أسـاءَ عَمْـدًا لتاجِـهْ   وعَرَفْنـا الحُـرُوبَ مِـنْ إنتاجِـهْ

سـوفَ نجزيـك بالنُّضـارِ ولكـنْ   ذائبًـا شـاربًا كِفـاءَ احتياجِـهْ[1]

نحـنُ أشـرافُ هـذه الأرض نَأْبَى   عِـزَّةً للخـؤون رغْـمَ احتجاجِـهْ

كـلُّ نفـعٍ بذلتَـه لـيس نفعًـا   يا خـؤونًا فخـارُهُ في اعوجاجِـهْ

(يجره بعض الجند إلى خارج المسرح.)

القائد بيلنيوس (مستغيثًا) :

... ... يا مليكـــــــي!

الإمبراطور :

... ... خَسِـئْتَ! لا تُرجِعُـوهُ

إنَّ قَطْـعَ اللسـانِ أوْلى بجـان   مثـلَ هـذا الـذي تـدنَّسَ فُـوهُ

هَـدَّ مُلْكًـا وخـانَ عَرْشًـا وأوْدَى   بنفـوسٍ منَّـا ومنهـا ذَووهُ!

(يذهب به حرَّاسه.)

القائد بيلنيوس (يسمع صوته خارج المسرح متضائلًا) :

خـانني الـدَّهرُ ... ومَـن قـد ظنَّـهُ   خائنًـا مـن بعـد ذاكَ الانتصـارْ؟!

بِئسـتِ الـدُّنيا الـتي كـم خادعـتْ   ثم جـــازتْ مَـــنْ يُجاريهـــا بنـــارْ

الزباء (متأثرة شاكرة) :

ثأرتَ لعِـــــــزَّتي إلَّا بقـــــــايا   ولكــنْ قــد قضـيتَ علـى جَـوَايا

ولســتُ أهــاب مَــوْتي بعــد هــذا   فبعـــد الثَّـــأْر في مـــوتي رضـــايا!

ومـــا ذُلُّ الْمُلـــوكِ بَهَـــدْم ملـــكٍ   ولكـــنْ كلَّمـــا صـــاروا ضَـــحايا!

كَشَـفْتَ قِنَـاعَ مَـن أذْكـى حُـرُوبًا   لنكبتنـــــا وأورثنَـــــا الـــــرَّزايا

فصُـنْتَ كـرامتي وَحَمَيْـتَ عِرْضـي   فلـــم أبـــكِ الجـــلالَ ولا هـــوايا

إذا الـــنَّفْسُ العزيـــزة لم تُســـخَّر   فمــا تخشــى الــوبالَ ولا المنــايا!

ومــا هــذي السَّلاســلُ رَمْــزُ ذُلٍّ   إذا كانـــت تُكـــرِّمني الســـجايا!

الإمبراطور :

ارفعــوا هــذه السلاســلَ عَنهــا ولْتُـــــؤَدُّوا عظــــيمَ التَّحِيَّـــــهْ

(يفعل حراسها ذلك وينحني لها الجميع احترامًا.)

الزبَّاء :

أيُّ شُــكْرٍ إليــكَ أُسْــدي فَيُــوفي صِــدْقَ حسِّــي بــذلك المعــروفِ

الإمبراطور :

اجْلســي الآن جــانبي رَمْــزَ عــرشٍ مِــنْ جــلالِ النُّهَــى ومــن عَبْقَرِيَّــهْ

(تقترب الزباء منه فيضع إكليل الغار الذي أمامه على رأسها ثم يساعدها على الجلوس بجانبه في العربة الملكية.)

والْبسي الغَارَ أنتِ في الأسرِ أوْلَى بالجــلال الــذي يشــوق البَرِيَّــهْ

نَفْسُــكِ الحُــرَّةُ العظيمــة دَوْمًــا تقهــر الــذُّلَّ والنفــوسَ الدَّنيَّــهْ

بعد صَفْحي عن الذي قد تَوَلَّى من حُرُوبٍ ومن مُصاب الرعيَّهْ

ليس عندي سوى التجلَّةِ تُهْدَى للَّــتِي أنــتِ مــن صــفاتٍ ســنيَّهْ

ستعيشـــين في ضـــيافةِ مُلِكـــي بـــين أولادِك الحيـــاةَ الرَّضِـــيَّهْ

ستعيشـين في عُلَـى قصـر (تَيْبـوُ رَ) حيـــاةً عزيـــزةً مَلَكيَّـــهْ

لَسْـتِ مَـنْ تُنْكـرُ الوفـاءَ لموطِنِـ ـك الثاني فدُومي له بصدقٍ وفيَّهْ!

الزَّباء (تصحبها أصوات بقية الحاضرين وتنشد شاكرة بينما تستأنف العربة الملكية سيرها ببطء وقد أقبل عدد وافر من الشعب رجالًا ونساء في رقص وطرب) :

اضْـــحكي يا سمـــاءْ ابْســـــمي يا أمـــاني لاعتـــدالِ الزمـــانِ

قـــد مَضـــى كالهبـــاءْ هَـــمٌّ شـــاقٍ وعـــانِ فارقصـــي في تَهـــانِ

ولْيَـــــدُمْ في عَـــلَاءْ في رضًـــى في أمـــانِ دونَ واشٍ وجــــــانِ

العظــــيمُ المضَــــاءْ ربُّ هـــذا الجَنَـــانِ والجِنَـــانِ الحســـان

فلتعشْ يا مليكْ ولْتَفُزْ يا مليكْ

(تُسدل الستار العامة فورًا.)

الهوامش

(١) أي: شاربًا من النضار الذائب ما يساوي احتياجه.

الفهرس